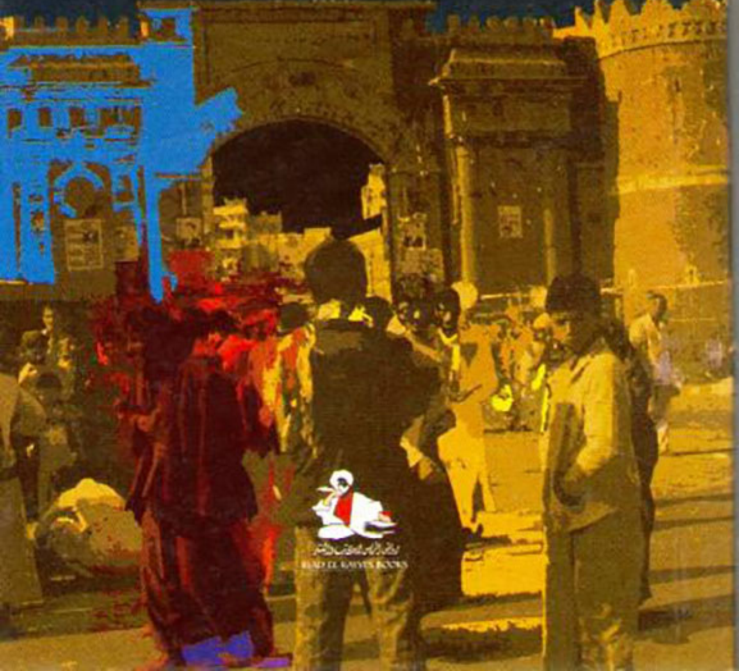
وجـدي الأهـدل

قوارب جبلية

روايــة



قـوارب جبليـة

وجـدي الأهـدل

قــوارب جبليــة

روايــة





MOUNTAINOUS BOATS

A Novel

By Wajdi AL-Ahdel

First Published in Sana'a 2002

Second Edition June 2002

BEIRUT- LEBANON

info@elrayyesbooks.com . www.elrayyesbooks.com

صدرت الطبعة الأولى عن

مركز عبادي للدراسات والنشر ـ صنعاء ـ الجمهورية اليمنية

رقم الإيداع بدار الكتب ـ صنعاء ٢٠٠٢/٧٢

ISBN 97 89953 21096 4

تصميم الغلاف: محمد حمادة

الطبعة الثانية: حزيران/ يونيو ٢٠٠٢

إلى الملاك الذي أضاء لي الطريق:
جدتي نور

شكر خاص
للأستاذ: سمير رشاد اليوسفي
لأنه شجعني على كتابة هذه الرواية

المحتويات

سحارة الملك الحميري

الشباب الملتحون يصعدون السلالم، وينزعون الشعارات العلمانية الملصقة بأحجار باب اليمن.

الشباب المحلوقة شواربهم وذقونهم ينزلون بالحبال من أعلى باب اليمن، واضعين الشعارات العلمانية فوق الشعارات الإسلامية.

الشباب يختبرون مهاراتهم القتالية في البداية على نحو مضحك، ما بين رفس السلالم وقطع الحبال، ثم يختمونها على نحو مفجع، ما بين قتلى وجرحى، لينتصر الشعار المغاير لشعارات كلا الفريقين، شعار مبقع بالدم لا يفهم مغزاه.

رجال الشرطة ينتشرون في باب اليمن بعد تأكدهم من فرار القتلة!

بجوار ضلفة باب اليمن الخشبية المحروقة بقذيفة من مدفع مجهول، جلست مفترشة التراب امرأة ارتداها السواد، تسمى عاتكة، تعمل في الصباح موظفة بالجمعية الإسلامية الخيرية لرعاية الأيتام، وفي المساء تمارس مهنة الشحاذة بالأطفال الرضع. كانت عاتكة تفضل الشحاذة بالطفل الرضيع المسمى «مزبجة» البالغ من العمر شهراً واحداً، إذ كانت تدفع الملل عن نفسها بأن تحكي لمزبجة عن أمه القحبة التي توفيت في مستشفى الثورة نتيجة خطأ غير مقصود، فالممرضة الولهانة لم تسمع جيداً تعليمات الطبيب، وأعطت للأم حقنة كبيرة من البنج بدلاً من العقار الذي يسهّل الطلق.. وأما والد مزبجة فهو طالب جامعة ملحد، ترك دراسته واختفى عن الأنظار منذ ظهور بوادر الحبل على جارته العزباء..

الممرضة إياها باعت جثة الأم لمشرحة كلية الطب، وحصلت على طقم ذهب، عيار ٢١ من الحاجة تقية نقيبة الشحاذات اليمنيات في مقابل تنازلها عن مزبجة،

فيما قامت الأخيرة ببيعه للجمعية الإسلامية الخيرية لرعاية الأيتام بثمن باهظ.

كانت عاتكة تحكي لمزبجة تاريخ عائلته بقصد التشفي، ولتبرر لنفسها مشاعر الكراهية التي تكنها له، وكأنما هي تعاقب والديه على ارتكابهما جريمة الزنا، بلفه في قماط أبيض شفاف طيلة المساء والليل، دونما وقاية من زمهرير شتاء صنعاء المخيم.

يوماً ما، انتقم مزبجة لنفسه، وانتهز فرصة انكشاف عورته، فتبول في فم عاتكة ورش وجهها حتى جعله يقطر ببوله!

انتفخ باب اليمن أضعاف حجمه الأصلي بفعل ضحكات المارة الساخرة، فتمكن قوس قزح الطويل القامة أخيراً من العبور إلى صنعاء القديمة.

تفاقم غضب عاتكة وانبجس حقدها دفعة واحدة، فراحت تحاول انتزاع عضو مزبجة وتجره بكل قوتها، وكأن بها مساً شيطانياً، فامتط العضو في يدها وأبى أن ينقطع ثم تلوّى حول عنقها ضاغطاً بإحكام، ولم

يستطع المارة إنقاذها من الاختناق، ولا حتى فك ذاك الشيء الملتف حول رقبتها، فدفنوهما معاً في قبر واحد. قال منكر إن مزبجة دخل الجنة وصار هدهداً أصفر اللون.

وقال نكير إن عاتكة دخلت النار واستقرت في أفخم كازينو، إذ كتب عليها أن ترقص عارية إلى الأبد أمام الزعماء العرب المتوفين.

باب اليمن وذروة الزحام في وقت الظهيرة، والشاب الغيور القادم من الريف بمعية عروسه البضة، المتزوجان حديثاً، والقادمان إلى صنعاء للتسوق وشراء حاجيات بيت الزوجية الجديد، شعرا بالاضطراب عندما ولجا لجة الزحام، ولاحظا التزاحم الخبيث حولها.. ولكي يثبت لها أنه يحسن التصرف، فقد جعل جسدها الحليبي أمامه وبقي خلفها مباشرة لحماية أشيائها الرخوة.

ولكن القشعريرة ضربت أطناب بدنه، عندما اتضح له أن المزاحمين مصابون بعمى الأنواع فصاح مستغيثاً:

(لعنة الله على باب اليمن وأهله)

فلما أدركت الزوجة المحبة أن أراذل السوق قد الحقوا الأذى بزوجها، تأخرت عن طيب خاطر، وجعلته أمامها، ليشق طريقه من باب اليمن إلى آخر سوق الملح وهي خلفه تذود عنه وتتولى حمايته!!

أسرّت الزوجة الفطنة لزوجها بأن الذين تناوبوا على الالتصاق بها من خلف هم باعة المعاطف الإفرنجية.

أسرّ الزوج الغيور القادم من الريف لزوجته بأن الذين تناوبوا على الالتصاق به من خلف هم باعة المسابح والمصاحف.

في باب اليمن رجل من قبيلة مستباحة، له ساق واحدة وعين واحدة، وذراع واحدة، يتغوط في خوذة جندي جنوبي حارب في سبيل الحزب الاشتراكي ومات برصاصة واحدة، صوبها نحوه نصف رجل.

في باب اليمن مجنون يلطخ نفسه بالخراءة، ويرتزق من كراء حماره الأعرج.. فأما عن تلطيخ نفسه بخراءته فهي حيلة ابتكرها ليحصل على الطعام مجاناً من المطاعم المنتشرة في السوق، والتي تحرص على ألاّ يختلط بزبائنها لكي لا يثير غثيانهم ويهيج قيئهم.

وأما عن المال الذي يحصّله من كراء حماره الأعرج، فهو ينفقه على شراء القات. إذ يقيل مفترشاً الأرض، تحت حماره الأعرج، ليستظل به من الشمس، فيمضي سحابة النهار في مضغ القات واستحلاب عصارته المنشطة، بينما الحمار يلتهم علفه الأخضر ببطء وكسل لذيذين، متبولاً بين الفينة والأخرى على صاحبه.

عرف الإسلاميون أن المجنون ضابط برتبة نقيب في جهاز الأمن السياسي، فاستمالوه لصفهم وزوجوه في ليلة واحدة بأربع أبكار لم يجاوزن سن العشرين، كأنهن الحور العين تنزّلن من الجنة.

حين انكشف أمر المجنون، وتبين للدولة أنه عميل مزدوج، جرت محاولات ساذجة لاغتياله، ولكنه نجا منها جميعاً، وتمكن من الالتجاء إلى الإسلاميين، فبسطوا حمايتهم عليه، وصار بين غمضة عين وانتباهتها مسؤولاً مرموقاً في الحزب الإسلامي، ويحظى بتقدير واحترام واسعين من كافة أعضاء الحزب.

وأما الحمار الأعرج الذي وشى به، فقد كافأته الدولة ومنحته وسام الواجب وأنعمت عليه برتبة عقيد فخري.

في باب اليمن مر ضابطان بحريان قاتلا في جزيرة حنيش الكبرى، ووقعا معاً في أسر الجيش الأرتيري، وعادا لتوهما بغير رغبة .. قال الضابط الملتحي:

- لقد خسرنا الحرب مع الأرتيريين بسبب الخلاعة التي يبثها تلفزيون صنعاء.

قال الضابط الأمرد ساخراً:

- لعلهم عرضوا الفيلم الذي يصورك وأنت تلوط بجنود كتيبتك فرداً فرداً بدلاً من أن تهيئهم للقتال!!

في باب اليمن جرت مساومة صاخبة بين شاب يغطي رأسه بقبعة أميركية، وكهل ملتصق البنان يعمم رأسه بعمامة بيضاء.

كانا يتساومان على العصور التاريخية .. فالشاب يريد عصر القرن الثاني والعشرين والكهل يريد عصر الراشدين!

وبعد أخذ ورد، قدم كلاهما تنازلات لتحريك الجمود وتضييق الهوة.. فوافق الشاب على عصر القرن الثامن عشر، وتزحزح الكهل بشق النفس إلى العصر العباسي،

وخرجا من باب اليمن والمساومة مستعرة بينهما، ولا يعرف على أي عصر من العصور سيتفقان؟؟

في باب اليمن، ثمة كلمة وبائية تطير بجناحين فوق هامات الناس.

في باب اليمن، ثمة كلمة حلمية سقطت صريعة تحت أقدام الناس.

في باب اليمن دقيقة واحدة لا تنسى، حينما خرجت من صنعاء القديمة شابة ناحلة العود، تفوح منها روائح الكعك الخارج لتوه من الفرن، وهي تلف حول جسدها الرشيق ستارة صنعانية تكاد تبين المستور، تنتعل كعباً عالياً جداً كمنقار مالك الحزين.

لم تكن تضع في حسبانها احتمال مرور تلك الدوامة الهوائية السريعة للغاية، والتي حملت ستارتها إلى عنان السماء مع الغبار وأكياس البلاستيك والذباب، وبقيت هي عارية كبصلة بيضاء أزيلت عنها قشرتها.

توقفت السيارات، وتسمّر المشاة في أماكنهم، وسكت

باعة المعاطف عن الصراخ، وتوقف الباعة الجوالون للمرة الأولى عن لعن الدنيا، وعم الهدوء الشامل باب اليمن كما لم يحدث منذ ألف عام، كل ذلك لكي يشاهدوا اللقطة المخلة بالآداب التي أفلتت أخيراً من مقص الرقيب.

الشابة التي تنحدر من أعرق الأسر الزيدية في اليمن، تخلت عن نعليها وراحت تعدو من مكان لآخر، ثم كانت تغير اتجاهها كلما رأت أمامها وجهاً ينتمي للحارة التي تسكنها.

وظلت تعدو من اتجاه لآخر في خفة الغزالة وليونتها البالغة، حتى سقطت متكومة على الأرض، وهي تبكي فضيحتها، ومصيرها الذي يقشعر له بدنها، حينما يصل الخبر إلى مسامع أخوتها الزيود العناتر.

كان جسدها المتناقص بفعل التبخر يغلي على نيران آلاف النظرات الشبقة، إلى أن تداركها مهندس نفط أميركي يعمل في آبار النفط بمأرب، فغطاها ببطانية صوفية سوداء، واحتملها بين يديه كالريشة، وبكل جرأة الكاوبوي فتح شنطة سيارته الفورد، ومددها برفق، ثم

أغلق عليها باب الشنطة وانطلق بها غنيمة باردة.

في باب اليمن، جيء بحصان أبيض جميل كفاية وعرض للبيع، ولكن التنافس الفاتر بين أصحاب المطاعم جعل صاحبه يرجئ بيعه لليوم التالي.

في الصباح أنهض الحصان من الأرض، فإذا بجنبه الملاصق للأرض قد ظهرت في بياضه الناصع بقع سوداء ..فعم الناس هرج عظيم وتحدثوا بوجود كنز مدفون في المكان الذي نام فيه الحصان.

انهمك الناس في التحفير، وانقلبت منطقة باب اليمن إلى سراديب وأغوار، حتى أوشك سور باب اليمن المبني منذ عصور بعيدة على التداعي، لولا عثورهم في نهاية المطاف على صندوق حديدي ضخم «سحارة» وجدوا بداخلها رقعة صغيرة من جلد مكتوب فيها شيء ما بالخط المسند.

تفاءل الجميع بعثورهم على خريطة تدلهم على مكان الكنز، وتم استدعاء خبير في اللغة الحميرية القديمة من جامعة صنعاء، ففسر لهم المكتوب فى الرقعة قائلاً:

(اشترى الملك الحميري شمر يرعش بن ياسر يمنعم مقولة حكيمة من الحكيم وزل المعافري بألف مكيال من الفضة، والحكمة محفوظة تحت هذا الصندوق بستة أذرع، وقد سلم الملك كل المال المستحق للحكيم، شهد الله والمكان).

أصيب الناس بخيبة أمل كبيرة، وترك معظمهم المكان وهم يسبّون ويلعنون الملك المعتوه الذي فرط بالمال واشترى به الحكمة!

لم يكن ثمة أحد يرغب في نقب المزيد من الأرض لأجل معرفة المقولة الحكيمة التي اشتراها الملك بألف مكيال من الفضة.. ربما سوى خبير اللغة الحميرية القديمة الذي جلب أدوات الحفر الأثرية، وراح يحفر الأذرع الستة بحرص علمي متوقع، حتى عثر على سحارة أضخم من سابقتها، وممتلئة عن آخرها بالقطع الفضية!

وهكذا نُقلت أعظم كنوز الدولة الحميرية إلى متحف قسم الآثار بالجامعة، بفضل دأب خبير اللغة الحميرية القديمة وحكمة الأجداد العظيمة.

وعندما احتجت طائفة من الذين تفرحت جيوبهم من جراء الحفر على ما أسموه النصب والاحتيال الذي مارسه معهم الملك الحميري، أجابهم خبير لغة حميرية القديمة بأن الملك لم يكذب، وأن المقولة الحكيمة تم ضربها كتابة على النقود الفضية. ولكي يبرهن لهم على صدق أقواله، أخرج من علبة في جيبه قطعة نقود فضية. وراح يقرأ المكتوب فيها:

(لم تخلق كلمة «الحمقى» في الوجود اعتباطاً ولكن لوجود مستحقيها).

حول باب اليمن ينبث صبيان المباحث الجنائية المتنكرون في هيئات مختلفة لملاحقة المشبوهين من غمار الناس.

في عام ١٩٤٨م أمسك أولئك الصبيان بشابة متنكرة في زي قبلي بعمامة ومعطف بدوي طويل إلى الركبة. وما فضحها هو ثدياها القافزان إلى الأمام كأرنبين أبيضين مذعورين، مما جعلها تنهار تحت أقدامهم مونثة. مقرة على نفسها بأنها تسببت في مقتل والدها البالغ من العمر عتياً، عندما سمحت لشاب يعمل في حجرة أعجبت بضخامة عضلاته أن يدخل منزلهم وقت

القيلولة، وهو عائد من عمله مبللاً بدماء المواشي وملطخاً بأوساخ أمعائها ورائحته تنضح بما يجلب القيء.

كانت أوصافه القذرة تلك بالنسبة لها محفزات جنسية! دخل الشاب البدوي القادم من صحراء مأرب خلسة إلى غرفتها، بينما كان والدها يرقد آمناً في الغرفة المجاورة.

لم تكن تريد أكثر من احتكاك عابر .. وأن يتلو على مسامعها شيئاً من شعره العامي الماجن الركيك، ولكن الشاب المغامر أدمن على ما يبدو إراقة الدماء، ولمّا كانت الشابة عذراء، فقد دوى صراخها المتفجر بالألم والندم حتى وصل إلى مسامع والدها. بهت الأخير لما رآها تحت البدوي تئن وتتوجع وتعوي بصرخات مروعة، فأخرج جنبيته وأراد الفتك بالشاب البدوي.

ساحر من الجزائر مر بالمصادفة ورأى المشهد من النافذة المفتوحة على مصراعيها فصاح بالشيخ: «لا تقتل».

الشاب البدوي الخفيف الحركة والقوي البنية تمكن من استغلال الفرصة والنجاة بحياته، فاستل ساطور الجزارة وقطع بضربة واحدة اليد القابضة على الجنبية، ثم انتابته

حالة هستيرية لمدة ربع ساعة، أنجز خلالها وبخفة مذهلة سلخ وتقطيع والد الشابة الذي جاوز الثمانين عاماً كالخروف تماماً.

بعد مرور شهرين خرجت الشابة المذكورة من السجن فاقدة العقل، واستقرت تهلوس وتهذي في ذات المكان الذي اعتلقت فيه.

كانت تأكل بقايا القمامات وتستف التراب المعفر ببولها، وتتحنى ببرازها كل صباح وكأنها عروس تتهيأ لليلة زفافها.

خرجت من السجن حبلى بعدد لا يحصى من الأجنة!

في ليلة انخسف فيها القمر، انتقلت هذه الشابة المشؤومة الطالع إلى دنيا الجن، عندما أدخلت أصابعها في أحد شقوق سور باب اليمن، فإذا بشيء ما يسحبها إلى الداخل أكثر فأكثر، وكأنها هدبة من قماش خفيف، شفطتها مكنسة كهربائية إلى جوف عالم غامض.

هناك اكتشفت أن لدى بني الجن باب يمن هائل الحجم،

يتيه أعلاه في طبقات السحاب، ويمتد مد البصر، حجارته شقراء اللون، محكمة البناء، وعضادتا الباب من الذهب الخالص، ومصراعاه من البخار الممزوج بالفحم، رغم أن خزق قذيفة المدفع المجهول في المكان ذاته.

قدرت الشابة المختطفة أن حجم باب اليمن الجني أكبر من باب اليمن الإنسي بمسافة قد يقطعها الراجل المُحث في خمسمئة عام.

كان عيال الجن يرمون الشابة الإنسية بحبوب الفول التي كانوا يشترونها من باب حديقة الحيوان خصيصاً لها، لكي يسمعوها تغني زاملها الحزين وهي تجرب صلابة القفص اللامرئي بنطحات ضارية من رأسها المليء بالرضوض.

كان تاريخ عارها المأساوي مسجلاً في كتيب أسود، يوزع مجاناً على زوار الحديقة، لاستدرار دموعهم، وكان المسؤولون عن الحديقة يجمعون الدموع في ماعون، ولولا هذه الحيلة اللطيفة، لماتت الإنسية عطشاً، فبلاد الجن لا تعرف الماء.

في باب اليمن وقبيل صلاة الفجر، أمسك (المطاوعة)

بطيار مخمور، وعندما اكتشفوا رتبته الرفيعة أُسقط في أيديهم، ودلفوا به إلى الجامع الكبير، فصلى بالمأمومين خلفهُ مرتلاً (بلغ الأحباب مني سلام).

فوصل صوته الجهوري عبر مكبرات الصوت إلى كل سكان صنعاء القديمة، الذين استيقظوا من سباتهم وعلى شفاهم تسبيح جديد موافق لما سمعوه من تطريب:

(واليلتي واليلوه ... واليلتي واليلوه)!

في باب اليمن، تسلق دكتور في قسم علم الاجتماع بجامعة صنعاء، السور الطيني، وسار في الممشى يردد كلاماً غامضاً، ثم تسلق برجاً مطلاً على ساحة باب اليمن ووقف على سطحه الموشك على التداعي، وصاح في الناس طالباً منهم أن يعيروه آذانهم.

كان هذا الدكتور معروفاً بذكائه الحاد، ولكن قصر قامته، وشناعة ملامحه، جعلاه عرضة للإصابة بنوبات غريبة من الهذيان..

استغرب الناس واستوقفهم مرأى الدكتور الوقور الأبيض

الشعر، المرتدي بذلة سوداء وربطة عنق زرقاء، وقد ترك سحاب بنطلونه مفتوحاً، فظهر عضوه التناسلي نافراً يلمع تحت أشعة الشمس ومتخذاً وضعاً أفقياً كسفينة تطمح إلى الدوران حول العالم.

قال الدكتور متخيلاً نفسه يلقي محاضرة مرتجلة لم يحضّر لها جيداً على نفر من طلابه:

(نحن أمام صنفين من الناس، أولهم يحب الطعام الذي تطبخه الزوجة فيأكله مقتنعاً راضياً، وثانيهم يحب طعام المطاعم، وأن يستضاف على موائد أصدقائه، وأن يتطفل على موائد جيرانه، أو حتى من لا يعرف، ليأكل ما هب ودب، غير عابئ بنظافة الطعام أو بمناسبته لذوقه.

إن هذا التصنيف البسيط يكشف بوضوح وعمق حقيقة رهيبة عن الرجل والمرأة على حد سواء ... فالمرأة التي تحب الأكل في بيتها من طبخها وتكره الأكل في بيوت الجيران والأقارب وأكل طبيخ المطاعم الجاهز، هي أيضاً تحب معاشرة زوجها وتكتفي به، وتبغض معاشرة أولاد الجيران، والشباب من معارفها، وممن تحفل بهم الشوارع من طالبي الجنس «السفري» الذين يتسكعون هنا وهناك

بانتظار إشارة ما، تماماً مثل أي زبون جائع يلج أقرب مطعم يقدم الوجبات الجاهزة.

وأما إذا كانت المرأة تكره الأكل في بيتها، وتفضل الأكل على موائد الآخرين وفي المطاعم، فإنني أقول ـ وأنا أتحمل مسؤولية هذا الكلام ـ أنها قد زنت ورب الكعبة!

وكذلك الأمر مع الرجل، فإذا كان يحب أكل البيت فهو أيضاً مخلص لزوجته، ويرفض خيانتها، وأما إذا كان الرجل يكره طعام البيت ويفضل الأكل في المطاعم أو حتى شراءه من المطاعم وأكله في البيت، فهو أيضاً يكره زوجته وينتهز الفرص لخيانتها. لقد قابلت كثيراً من الرجال الذين يحبون أكل المطاعم ويفضلونه على طبيخ زوجاتهم، وعندما تأملتهم، وجدتهم بالفعل ينفرون من زوجاتهم، وصارحني بعضهم برغبته في الزواج بأخرى.. ولذلك أقدم هذه النصيحة المجانية للزوجات الغيورات:

إذا بدأ زوجك في الشكوى من رداءة الطعام الذي تطبخينه فهذا يعني بكل بساطة أنه قد بدأ يفكر في امرأة أخرى!!

على كل نلاحظ أن ظاهرة الشكوى من طعام البيت أكثر انتشاراً في الطبقات الأكثر ثراء، ومن جميع أفراد الأسرة عموماً، مما يجعل كل فرد منهم يستقل بنفسه في تدبير وجبات طعامه، والتفنن في انتقائها من أفخر المطاعم في المدينة، وهو ما ينسحب بنفس الدرجة على عاداتهم الجنسية، حيث يسعى كل فرد منهم إلى تنويع خياراته الجنسية، والبحث الدائب المتفنن عن شركاء رائعين لذيذين في الفراش.

كذلك يمكن استقاء عدة ملاحظات صائبة حول العادات الجنسية للإنسان من خلال معرفة عاداته في تناول الطعام..

فمثلاً أعرف صديقاً لا يحب أكل المطاعم التي تهمل النظافة حتى لو كان طعامها ألذ، ويفضل الأكل في المطاعم النظيفة حتى ولو كان الطعام أقل لذة، وهو ما فسر لي ببساطة طبيعته الخاصة في رفض مزاولة الجنس مع الفتيات القذرات اللاتي لا ينظفن آنيتهن أولاً بأول! وهو مولع بشكل خاص بمعاشرة الفتيات النظيفات اللائي يفوح الصابون من أعطافهن حتى ولو كن أقل جمالاً!!

ولي صديق آخر على عكسه تماماً، أفنى عمره في التنقل بين المطاعم غير آبه بنظافتها ولذلك هو موسوعة مطعمية، يعرف أي مطعم يطبخ الطبخة المفضلة لديه أفضل من غيره، فلكل مطعم كما يقول طبخة بعينها يتميز بها عن غيره، وعلى نفس المنوال كانت عادات صديقي هذا الجنسية.. فهو يمارس الجنس مع النساء من مختلف الأعمار والألوان والجنسيات، غير عابئ بهندامهن أو نظافتهن الشخصية أو أية أشياء خارجية، ولذلك فهو يعرف أي النساء تصلح للصيف وأيها تصلح للشتاء، وأيها أذوق في وقت الظهيرة وأيها أحلى وأغنج في سهرات الليالي!

وثمة عادات كثيرة في أنواع الطعام وتناوله تفضح ميول الإنسان الجنسية، ويمكن معرفة النوع المفضل من النساء عند شاب ما من خلال معرفة طبقه المفضل، فالرجل الذي يحب الأطباق الشعبية هو أيضاً يحب معاشرة الفتيات الريفيات وبنات الأسر الفقيرة. وأما الرجل الذي يحب الأطباق العالية الكلفة، فهو أيضاً محب لمعاشرة الفتيات الثريات ومن كن من عائلات عريقة. وهناك صنف من الرجال يحب الأطباق الأجنبية، وحين ننزع القشرة الخارجية عن أولئك

الرجال نجدهم يميلون إلى معاشرة الفتيات الأجنبيات.

وأضرب مثلاً بصديق أعرفه تمام المعرفة، كان وما زال طبقه المفضل هو (الزقني) المكون من لحوح حامض ولحم مطبوخ بالصلصة والبهارات والفلفل مع السحاوق، وهو طبق حبشي، وما عرفته عنه أيضاً هو ولعهُ الشديد بالحبشيات إلى درجة الجنون!

كما نلاحظ أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين عاداتنا في الأكل وبين عاداتنا في الجماع، فمن يأكل سريعاً يجامع سريعاً، ومن يأكل ببطء يجامع ببطء، ومن يجوع بسرعة ويشبع بسرعة فهو في الجماع تأتيه شهوة النكاح سريعاً ويريق ماءه بسرعة، فمن كان يفرغ من غدائه في دقائق معدودة فإنه يمارس الجنس مع الشريك بنفس المقدار من الوقت تقريباً.

ومن يداوم على الأكلات الخفيفة بين الوجبات فإنه ممن يحبون المداعبات الجنسية بين المواقعات. وعكسه الذي لا يأكل شيئاً إلا في الوجبات ـ يتحججون بأن الوجبات الخفيفة تسد شهيتهم عن الوجبات الرئيسة ـ فهو أيضاً لا يلاعب زوجته ولا يداعبها إلا في أوقات الجماع.

ومن يحب الأكل في الأماكن المفتوحة كالحدائق والمتنزهات والمناطق الخلوية فهو أيضاً يحب المجامعة في هذه الأماكن، وإذا واتته الفرصة أقدم على الجماع وإن لم يكن ثمة ما يستره، وعكسه الذي يحب الأكل في الأماكن المغلقة فهو يحب الجماع في أماكن مغلقة.

ونجد أن الذي تأتيه الوساوس من أعين الحاسدين عند تناوله طعامه، تنتابه حالة مماثلة عند ممارسته للجنس، فتراه يحرص على إسدال الستار وإحكام إغلاق الأبواب.
وعلى النقيض منه نجد أن من لا يبالي بنظرات الناس إليه وهو يأكل كذلك لا يبالي إن رآه الناس يرهز شريكته ويصعد شهقاتها.

وبطبيعة الحال فإن أي تغيير يطرأ على الإنسان في ما يتعلق بعادات الأكل فإنه لا بد من حدوث تغيير مواز له في عادات الجماع. وكمثال بسيط على هذا التغيير أسوق قصة صديق لي كان يحب في صباه الخبز البائت المجمد في الثلاجة الذي كانت أمه تقدمه له، بينما كان على الصعيد الجنسي يقيم علاقات فائرة مع نساء مكتهلات.. فلما استقل بحياته، أصبح من أشد الناس المولعين بالخبز الطازج الخارج لتوه من التنور، وكذا على

صعيد علاقاته مع الإناث إذ بات ينزو على الصغيرات منهن ويعاف من جاوزت العشرين.

عود على بدء سنجد كثيراً من النساء والرجال ممن يقسمون بالله الأيمان المغلظة أن لا علاقة بين حبهم لأكل المطاعم وبين حبهم وإخلاصهم لشريكهم الزوجي..

ولهؤلاء نقدم جواباً أكثر سهولة:

فإن حبهم لأكل المطاعم برغم حبهم الكبير للشريك هو رد فعل لا شعوري مكبوت في عقولهم الباطنة، ودليل على كراهية عميقة في اللاوعي للشريك الزوجي، حتى وإن كان العقل الواعي ينكر ذلك أشد الإنكار!

عندما يغضب الزوج من الزوجة فإنه يعاف طعامها ويعود إلى البيت وقد تناول طعامه في الخارج.

لقد قابلت عدة حالات زوجية وجدت فيها أن الزوجة هي السبب في دفع الزوج إلى الأكل خارج البيت، نعم فهذه الزوجة هي السبب في دفع زوجها من ناحية أخرى إلى الارتماء في أحضان الأخريات. وقابلت

حالات أخرى كانت الزوجة تطلب من الزوج شراء الأكل من المطاعم وجلبه إلى البيت كطقس يومي معتاد، إذ إنها لا تجيد الطبخ أو كسولة وكان الزوج يفعل ذلك راضياً، وكما يمكنكم التوقع فإن هذا الصنف من النساء لا يبالي بخيانة الزوج تقريباً.

إن هذه العلاقة الشفيفة التي تخفى على عين الإنسان المعاصر، كان الإنسان البدائي يدركها بوضوح، بل حتى كثير من الشعوب والقبائل إلى عهد قريب كانت تكرم الضيف بالطعام والنساء. ومن المعروف أنها عادة قديمة ومترسخة في أكثر من مكان في العالم ألا وهي اقتران الكرم بالنساء. وأضرب هنا مثلاً بعادة ما يزال السواد الأعظم من الناس متمسكاً بها، ألا وهي عادة تبادل الطعام بين الأصدقاء المتزوجين أو بين الجيران، وهؤلاء الناس الذين يحرصون على هذه العادة هم مرشحون بنسبة كبيرة للوقوع في براثن عادة أخرى موازية لها، وهي ما اصطلح على تسميتها بـ (تبادل الزوجات) إن لم يكونوا يمارسونها بالفعل!!

ومن هنا نجد بقايا تلك العادات والتقاليد قد ترسبت في موروث الإنسانية عبر عشرات الآلاف من السنين، وهي

تبرز في الارتباط اللاشعوري بين الأكل على موائد الآخرين، وبين مزاولة الجنس مع حريم المضيف، عقب الانتهاء من الأكل، وهي طريقة تقليدية عرفتها كل شعوب العالم منذ عهد بعيد وأحياناً إلى عهد قريب للتدليل على كرم المضيف.

ويحدثنا التاريخ أن القرشيين قد اشتهروا بولعهم الخاص بالأكل على موائد الآخرين، ولماذا نوغل بعيداً؟ فمن المعروف لنا جميعاً أنه ما تزال هناك بضع مناطق يمنية تقدم لضيوفها حتى الآن الطعام والنساء للدلالة على كرم المضيف، وتسمى هذه العادة.........

(هياج وصراخ غاضب)

ولكن ينبغي أيضاً أن نشير إلى نقطة مهمة للغاية، وهي أن الشعوب البدائية لم تكن تعرف أن انتفاخ بطن المرأة سببه الاتصال الجنسي، وإنما كانوا يعزونه إلى أسباب خرافية.

ومن ناحية أخرى يطفو على الأذهان تساؤل مهم، وهو لماذا ارتبط الكرم أصلاً عند الإنسان البدائي بالطعام والنساء ولم يقتصر على الطعام وحده؟

وأعتقد أن الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة قدمت تفسيراً معقولاً لهذا الأمر، حين أشارت إلى تخوف الإنسان البدائي من افتضاض بكارة المرأة باعتباره عملاً يسلبه قوته وضاراً بالصحة. وكان يتم استغلال قدوم رجال من قبائل أخرى إلى أرض القبيلة لكي يتم إرغامهم قسراً على افتضاض بكارة بنات القبيلة، وبطبيعة الحال كان ذلك يترافق مع إطعامهم طعاماً منعظاً ليقوموا بتلك المهمة على خير وجه!

وسيكون شيئاً مثيراً للضحك والحسد لو حدسنا بأن الرجال المحاربين الذين كانوا يقعون في الأسر آنذاك، لا بد أنهم تعرضوا لصنوف شتى من التعذيب، أبرزها إجبارهم على افتضاض بكارة العذارى!

ولعله من حسن حظهم أن الجمعيات التي تنادي بحقوق الإنسان لم تكن قد اخترعت بعد، وإلا لكانت قد سعت إلى حرمانهم من ذلك التعذيب الجميل! قليلاً قليلاً أصبحت عمليات التعذيب تلك أقل عنفاً ووحشية، وأصبح الرجل الغريب عن القبيلة يعرف تماماً الضريبة المطلوبة منه عندما يقدم له رجال القبيلة المضيفة طعاماً.. ولكنه إذا رفض تناول طعامهم فهذا يعني أنه يرفض

افتضاض بكارة بنات القبيلة، وحينئذ لا يلومن إلا نفسه لأنه سيتعرض لمعاملة سيئة.

وفي الوقت الراهن نرى أن المضيف يثور غضباً إذا ما رفض الضيف تناول طعامه. ولعل البعض منكم سيصفني بالهرطقة والتمادي في بناء تصورات لا تسندها أدلة ملموسة.. ولكن مثل هذه الحفريات في القيم والمبادئ والأخلاق بخيرها وشرها ـ وإن كان لا فرق بين الاثنين ـ تقوم في الأصل على فرضيات، وتستند في الواقع إلى مؤشرات خفية جداً، ولا يكاد يميزها إلا ذوو النظر الثاقب والتأمل الفاحص لعاداتنا وتقاليدنا الحالية، وكيف نشأت وتطورت عبر عشرات الآلاف من السنين. ولنضرب مثلاً بعادة يمنية مستشرية جداً وذات دلالة عميقة، وهي عادة دلق أو التخلص من الغشاء أو الطبقة السطحية من الماء أو الشاي أو القهوة أو أي مشروب آخر. وعلى نحو أكثر جلاء، فإنني بصفة شخصية رأيت ما لا يحصى من الناس عندما يشترون على سبيل المثال مياهاً معدنية من البقالة ويفتحون سدادتها فإن غالبيتهم يدلقون شيئاً يسيراً من الماء الذي في عنق العلبة. ويمكننا عند الربط بين هذه العادة وبين عادة الخوف من افتضاض بكارة العذارى الاستنتاج بوجود وهم أو

أسطورة قديمة، تحذر الإنسان من أول كل شيء، أو ربما الاعتقاد بوجود قوى شريرة ملعونة تستأثر بأوائل الأشياء ومبتدآتها، فلذلك انتشرت بين البشر عادة التخلص من الشربة الأولى واللقمة الأولى والاتصال الجنسي الأول! ولربما اخترع الدين الإسلامي «البسملة» ليتغلب على هذه العادة ذات الأصول الوثنية. إن العادات والتقاليد ما تزال تسيطر على الناس حتى يومنا هذا، وهي موجودة في عاداتنا وتصرفاتنا مختبئة خلف حاجز شفاف.

إن المضيف المعاصر يفسر غضبته على رفض ضيفه تناول الطعام الذي قدمه باعتبار ذلك الرفض إهانة شخصية فظيعة له، ولكن مشاعر الإهانة هذه مردها أسباب عميقة جداً غابت في تلافيف زمن سحيق موغل في القدم.

أعتقد أن جميع شعوب العالم توارثت فكرة (الكرم) على هذا النحو، وأصبح إطعام الضيف ثم الترفيه عنه بالنساء عادة تدل على التحلي بالخلق الرفيع .. وربما، وهذا رأي لست واثقاً منه، أن الشعوب البدائية عندما أدركت العلاقة بين انتفاخ بطن المرأة والاتصال الجنسي بدأوا يغيرون فكرتهم عن الكرم وجعلوها تقتصر على الطعام فقط.

وينبغي عليّ التنبيه إلى نقطة هامة، وهي أن فكرة (الكرم) عند الإنسان البدائي كانت تعني شيئاً مزعجاً، ويمكننا القول أنه كان يعد «الكرم» من الخصال الشريرة، وأن من اشتهروا به هم الأشرار في عصرهم، ولكن يبدو أن التحولات الحثيثة في العقائد والأفكار الأسطورية قد جعلت «الكرم» ينتقل تدريجياً من قائمة الخصال الشريرة إلى قائمة الخصال الخيرة، وفاعليه ينتقلون من طابور الأشرار إلى صف الأخيار، ويمكنني القول أن ورقة «الكرم» كانت في الماضي في يد الشيطان، وأنها الآن أصبحت في يد الملائكة.

لا أحد يدري كم من الخصال الشريرة نمقتها الآن كانت في الماضي خصالاً خيرة تدخل صاحبها الجنة، وبالعكس، كم من خصال خيرة نحث عليها الناس الآن لعلها في الماضي كانت خصالاً شريرة تدخل صاحبها النار.

في العصور البدائية عندما كانوا يصفون رجلاً ما بأنه «كريم» فقد كانوا ينتفضون منه رعباً ويكرهونه كراهية ماحقة، نظراً لكونه يمسك بالغرباء ويحبسهم في بيته ثلاثة أيام، لكي يقدم لهم طعاماً ويجبرهم على مزاولة الجنس مع نسائه. وفي عصور الحضارة والكلمة المكتوبة

أصبح لصفة «كريم» معان متفاوتة، إلا أنها استقرت في النهاية كصفة خلقية حميدة يتمنى أي إنسان أن تلصق به!

ولكن يبدو أن أحفاد ذلك الرجل البدائي الذي وقع ضحية لـ«كرم» مضيفه البدائي ما يزالون حتى عصرنا الحاضر يتمنون أن يقعوا ضحية يومية لذلك الظلم الفادح.. أي أن يكونوا ضيوفاً على غيرهم لينتقلوا بعد انتهاء وجبة الطعام إلى النساء!! على كل حال هناك الكثير من الرجال والنساء ينكرون هذه «السفسطة» ويصرون على أن حبهم للأكل على موائد غيرهم مرده حب الطعام ولا شيء غيره، أو غير ذلك من الأسباب التي لا علاقة لها بالجنس البتة إلخ..

حسناً أنا معهم في كل ذلك، ولكن اللاشعور بداخلهم يؤكد صدق مزاعمي، ولو تأملوا في أحلامهم الليلية أو حتى أحلام اليقظة، أو في تصرفاتهم المهذبة التي تخفي توقاً جنسياً مكبوتاً لتبينوا وجود خيط جنسي شديد الخفاء خلف ذلك كله. يقول المثل الشعبي وهو ذو دلالة شديدة العمق «الطريق إلى قلب الرجل يبدأ من بطنه»!!

وعندنا ....

....

(هتافات غاضبة، عصبة من المطاوعة الملتحين تتسلق السور).

..... ولهذا الاعتقاد مغزاه، فقد كان الإنسان البدائي يخاف دائماً من البداية والنهاية والأول والآخر، وأول الشراب وآخره، وأول لقمة في الطعام وآخرها، وأول اتصال جنسي وآخره.. ومن بقايا هذا الاعتقاد ما نلاحظه من عادة ترك شيء يسير في قاع الكوب، سواء كان ماء أو شاياً أو قهوة أو غير ذلك من المشروبات، ولذلك ظهرت معتقدات تحل هذه المشكلة، كالدين الإسلامي الذي صور لأتباعه أن في الجنة شراباً لا نهائياً، وطعاماً لا نهائياً واتصالات جنسية لا نهائية

....

....

عصبة المطاوعة تنهال ضرباً على دكتور علم الاجتماع، ثم تلقي به من علو شاهق على أرضية باب اليمن المرصوفة بالحجارة غير المشذبة، وطائفة ممن استمعوا لمحاضرته يطأونه بالأقدام.

وفي الليل مرت من تحت قوس باب اليمن جنازة مهيبة

لدكتور علم الاجتماع، وحمل نعشه الآلاف من طلبة الجامعة.

وفي اليوم التالي طافت المظاهرات المنددة بمصرع دكتور علم الاجتماع أحياء المدينة، ثم احتشد المتظاهرون في منطقة باب اليمن، واعتلى زعيم المعارضة العلمانية ذات البرج الذي سقط منه المرحوم، وتهيأ لخبطة الموسم.

ارتفع رأس زعيم المعارضة عالياً جداً في جو السماء كطائرة ورقية مربوطة بخيط رفيع إلى الجسد، ومن هناك استنكر الجريمة الشنعاء التي ارتكبها أنصار الحزب الإسلامي، وطالب أمير الجماعة الإسلامية في اليمن بدفع الدية لحزبه. وتطرق زعيم المعارضة إلى التحقيق الذي أجراه البرلمان ـ باقتراح من الكتلة البرلمانية للحزب ـ حول قضية التهريب عبر الحدود البرية والبحرية، حيث تبين في ختام التحقيق أن ٩٠٪ من الأشياء الصالحة للبيع والشراء قد دخلت اليمن بطرق غير قانونية، وبواسطة المهربين، حتى أن الحكومة ذاتها قد ضبطت ضمن المهربات! وأشار إلى أن الدين الإسلامي ذاته مجرد بضاعة فكرية غير قانونية، تم تهريبها عبر الحدود على مدار ألف وأربعمئة سنة.

وفي ختام خطبته المجلجلة، أعلن زعيم المعارضة عن تبرعه بشاربه الأيسر ليصنع منه المهندسون تلفريك يصل بين باب اليمن وقمة جبل نقم، وعن تبرعه بشاربه الأيمن للأغراض الطبية ليصنع منه الأطباء فتلات لخياطة الفتوقات المهبلية.

وفي اليوم الذي يليه، أقامت الجماعة الإسلامية احتفالاً عظيماً في منطقة باب اليمن استبشاراً بدق عنق الدكتور الجامعي المرتد.

أمير الجماعة الذي يملك عقلاً يشبه كهف أهل الكهف، أعلن من منبر نصبه أتباعه على سور باب اليمن، فتواه بتكفير زعيم المعارضة العلمانية، ووجوب تطبيق حد الردة عليه وقتله تعزيراً ما لم يتب ويعلن توبته على رؤوس الأشهاد.

كان المكان يعج بالأتباع وتكبيراتهم المدوية وهتافاتهم المضحكة، ورويداً رويداً وكلما أوغل الأمير في التكفير وإهدار دماء أعدائه كلما راح الأتباع يدخلون في بعضهم بعضاً حتى تناقص عددهم من عشرات الآلاف إلى ألف، ثم إلى خمسمئة، وهكذا ظلوا يندمجون فيما بينهم حتى تحولوا إلى واحد!

وعندما رأى هذا الواحد نفسه وحيداً، أدخل رأسه في مؤخرته التي راحت تبتلعه ببطء، بادئة برأسه فرقبته فكتفه اليمني وبقية اليد، ثم كتفه اليسرى ويسراه ثم الصدر والبطن فالورك الأيمن وبقية القدم، ثم الورك الأيسر وبقية القدم اليسرى، ثم ببساطة متناهية اختفى!!

في باب اليمن بنت لم تجاوز الخامسة عشرة من عمرها تسمى سعيدة، متخلفة عقلياً وتطوف طوال النهار لتشحذ من المارة.

تنتاب سعيدة بين الحين والآخر نوبات صرع عنيف، فتسقط متصلبة على أرضية باب اليمن المرصوفة بالأحجار الناتئة غير المصقولة على جنبها، وترفع رجلاً واحدة إلى أعلى، وهي تتفجر بين دقيقة وأخرى بارتعاشات وتقلصات عنيفة، فتنكشف عورتها المغلظة للمارة والباعة الجوالين وصبيان البحث الذين يحذرون أي شخص يحاول الاقتراب منها من «الجني الذي ركبها» وحرم عليها لبس السراويل!

وبعد مرور عشر دقائق على بدء النوبة تستعيد وعيها، عاضة كفها الأيسر المتدلي المكسور من المعصم، ثم

تمضي لشأنها رافعة يدها اليسرى وملوحة بعضوها الميت لاستدرار شفقة المحسنين.

تنسب لـ «سعيدة» العديد من الأقوال الحكيمة:

(لقد تحول الإنسان إلى سيجارة في هذا العصر، وصار ضحية بين فم اللادينية وشعلة التطرف الديني اللتين تدخنانه حتى لا يبقى منه سوى رماد بارد في منفضة العالم).

ومن أقوالها: (الريشة والقلم ضلفتان تنفتحان على الله).

وصفها عابد زاهد من رجال الله بأنها جمعت بين الإيمان والحكمة.

حين كانت صغيرة في سن الأحلام أصيب كفها الأيسر بفطريات أدت إلى تشقق الجلد ونمو العفن الأخضر في راحة الكف ومغابن الأصابع.

سارع التجار من شتى أرجاء المعمورة إلى «صاحبة اليد الخضراء» لنيل بركتها، وسرت بين الناس شائعة مفادها أن لتلك اليد الشوهاء تأثيرات سحرية في كل شيء

تلمسه .. فهي إذا ما لمست بضاعة كاسدة سرعان ما تنفق في الأسواق، وإذا تحسست عانساً فإنها في غمضة عين تتزوج، وأما إذا رازت أير أحدهم فإنه يغدو بين ليلة وضحاها مسؤولاً كبيراً في الدولة.

يوماً ما دخلت الشمس في حفرة خضراء، فبدا ضوؤها أخضر ينداح كشواظ من سهام ورماح.. وتحت إلحاح الحمّامية، وافقت سعيدة على تحميم بدنها في حمام النساء العمومي.

خلعت ثيابها وجلست عارية بجوار باقة من الصبايا الصغيرات العاريات اللائي كن يفتحن أفخاذهن للمباهاة بفروجهن.

حين جاء دور «سعيدة» فتحت فخذيها على استحياء، إذ كان فرجها يقطر قطرات بيضاء كالحليب، وتفوح منه روائح البخور الزكية.

شهقت الصبايا الصغيرات وأكبرنها وحسدنها على النعمة التي تتقلب فيها، ونظرن بحسرة إلى فروجهن الجافة اليابسة الخالية الوفاض من الخيرات.

في لحظة غرور تافهة استلقت «سعيدة» على ظهرها ورفعت رجليها إلى السماء، لتسمح للمزيد من النساء برؤية فرجها الزكي الرائحة والماء الذكوري يسيل من رحمها.

فأر أسود اللون أثار ذعره حجر سقط من الجدار، فهرب مختبئاً في شق ضيق، لم يكن سوى فرج «سعيدة» التي جن جنونها من الخوف، فجرت بكل قوتها مندفعة إلى الممر الخارجي للحمام.

أرضية الحمام الزلقة أدت إلى انزلاقها وسقوطها بكامل ثقلها على يدها اليسرى التي انكسرت من المعصم، وسمع المحيطون بها صوت تكسر عظمة يدها، وكأنها صخرة انفلقت نصفين بضربة فأس بالغة القوة.

فقدت «سعيدة» وعيها، وتدفق المني الطازج من فرجها بكميات هائلة تقارب سعة سد مأرب التخزينية من المياه.

أسعفت «سعيدة» إلى المستشفى، واستدعي طبيب العظام المناوب، الدكتور «جاليوس» الروماني الجنسية، المنفي إلى اليمن بقرار من وزير الصحة في بلاده. رائحة البخور

الزكية اجتذبت جاليوس وجعلته يدس أنفه في فرج «سعيدة».

تخلى جاليوس عن واجبه الطبي، واستمع إلى سحر العلم .. سحب المشرط واقتطع جذاذة لحمية بالغة الصغر من مهبل «سعيدة» ثم انهمك في دراستها على الفور، وصب على الجذاذة محاليل كيميائية، وأُخذ يستعرضها تحت المجهر. كان بريق الثروة يخطف البصر من عينيه، فيتخيل اكتشافه وجود خلايا في جسد الإنسان تفرز روائح عطرية.

وفي مساء اليوم التالي استفاقت «سعيدة» من غيبوبتها، ورأت يدها اليسرى مكسورة من المعصم، وكفها يتدلى ميتاً بنياً بلون بشرتها، وقد انمحت الفطريات التي كانت تجعله مخضراً.

خرجت من المستشفى خلسة، ذلك لأن نظرات الطبيب الروماني إلى مناطق عفّتها لم تكن تبعث على الاطمئنان.

أصيبت أسرة «سعيدة» بضربة اقتصادية ماحقة، فقد

كانت يدها الخضراء تعيل كافة أفراد الأسرة، وببركتها عاشوا سنيناً طوالاً في رغد وعز وهناء لم يحلموا به، فلهجت الألسن بمبلغ ثرائهم، ووقعت الهيبة في قلوب جيرانهم.

فلما نفدت أموال الأسرة وضاقت بهم الدنيا، خرجت أم سعيدة إلى باب اليمن، واشتغلت في جمع القناني البلاستيكية الفارغة، وبيعها لمحلات عصائر نقيع الشعير والزبيب المنتشرة في سوق الملح لتعيل أسرتها الكبيرة المكونة من: زوجها العاطل عن العمل، وأمها وأم زوجها، وأخت زوجها المطلقة، وسبع بنات وأربعة بنين.

ولكيلا تموت الأسرة جوعاً، فقد تقرر أن تتكون وجبة الإفطار من الكدم والشاي، ووجبة الغداء من فتة الكدم المطبوخة بالمكعبات السحرية ـ مرقة الدجاج ـ ووجبة عشاء خفيفة جداً تتكون من الماء الغني بالجراثيم السادّة للشهية. ظلت «سعيدة» تساهم بمبالغ مالية ضئيلة في مصروفات البيت المزدحم بسكانه، إذ كانت تطوف حول باب اليمن طوال النهار لتجمع القداحات التي استغنى عنها أصحابها، فتعيد تعبئتها وبيعها لمدخني السجائر الأكثر فقراً.

والد سعيدة رجل تفوح منه رائحة العنب، اعتاد منذ النكبة التي حلت بأسرته أن يخرج إلى باب اليمن في وقت السحَر، فقد اختار أن يمشي هنا وهنا ورأسه مطأطئ إلى الأرض بحثاً عن الأشياء الساقطة من المارة في دهمة الليل.

التقط أشياء كثيرة مكنته من العيش محافظاً على وزنه الطبيعي الذي اكتسبه في أيام الرفاه دونما اضطرابات كبيرة. عثر على أوراق نقدية من مختلف الفئات والعملات، وعلى أقلام وصور وقصاصات، وعلى خواتم ذهبية وفضية وساعات، وعلى رسائل قصيرة من عشاق غامضين يكتفون بكتابة أرقام هواتفهم لمتلقين مجهولين، وعلى مقصات وسكاكين، وإبر خياطة ومفاتيح سيارات ودكاكين، وعلى جثث لحيوانات نافقة وبشر مقتولين.

الساعة الأخيرة في حياة هذا المخلوق على ظهر هذا الكوكب حفلت بحادث مثير.. فقد خرج كعادته إلى باب اليمن في الهزيع الأخير من الليل ليلتقط رزقه، فإذا به يجد بين الأحجار المرصوفة فرجة دائرية، فحدثته نفسه بجسها لعله واجد فيها خاتماً ذهبياً أو ساعة يد ثمينة، ولكنه ذهل حتى غار ماء وجهه عندما أدرك أن

الفرجة الأصغر من فتحة فمه متناهية الغيهب ولا غور لها.

ألقى في الفرجة قبضة من حصباء صغيرة، فلم يسمع لها أي صوت ارتدادي. انتابته أحاسيس متناقضة، فلطالما سمع خرافات متفرقة تذكر الأحوال السحرية التي تنتاب باب اليمن بين الحين والحين.. وحينما رأى طليعة العسس تقترب من موقعه نهض وتابع سيره.

في البداية لم يصدق أن الفرجة الأصغر من فمه تسير تحته مسامتةً له وفي أي اتجاه يحرك قدميه نحوه، ولكنه تأكد بالفعل مما يحدث له حين دار حول قصر السلاح وهي تحته كظله، ثم دخل باب اليمن ومشى في سوق الملح وتنقل بين أسواق صنعاء القديمة التي تفوق المئة سوقاً سوقاً، ثم اكتشف حين توقف للراحة في سوق الختم أنها ما تزال تحته تماماً.

تصبب العرق من جسده كشلال بني مطر، واربدّ لونه كتفاحة ظلت معروضة للبيع حتى أصابها العطب، وفي لحظة خاطفة انهارت مقاومته، فراح يعدو بأقصى سرعته وهو يصرخ ويستغيث بأهل باب اليمن حتى تعثر بكومة

قماش فيها مولود عمره ساعة واحدة تركته أمه لأولاد الحلال بعدما ضحك عليها أولاد الحرام.

اختل توازنه وانقلبت قدماه إلى أعلى ورأسه إلى أسفل، فتشنجت أعصابه معتقداً أنه سيشج رأسه وتسيل منه الدماء مدرارة حين يرتطم بالأحجار المرصوفة من غير تشذيب، ولكنه انتظر ارتطام رأسه وقتاً طويلاً.. كان يشعر فقط أنه يهوي في أعماق ظلمة مطبقة لانهائية وأبدية.

بعد حقبة من الزمن لا يعلم مقدارها إلا الله شعر بالارتياح، وتسرب إليه فرح شفاف شديد النفاذ والعمق، حينها رفع رأسه بكل اعتزاز ووضع رجلاً على رجل وقال: (استرحت والله من الالتقاط).

أما أسرته فلم تعن كثيراً بالبحث في أسرار اختفائه، وأما الناس فقد زعموا تحوله إلى طفل رضيع عمره ساعة واحدة.

تولى الأخ الأكبر زمام الأسرة الغارقة في الفقر والديون، وفرض على الجميع إقامة الصلوات الخمس في أوقاتها،

وقيام الليل، وقراءة القرآن عقب صلاة الفجر مدة ساعة تقريباً، وحرم عليهم مشاهدة التلفاز والاستماع إلى الأغاني والموسيقى، وأجبرهم على الاستماع إلى خطب ومحاضرات دينية مسجلة على أشرطة الكاسيت طيلة اليوم.

امتثل الجميع لأوامره خوفاً من بطشه واتقاء لصفعاته ما عدا «يوحنس» الأصغر من «سعيدة» بعام واحد.

رفض يوحنس لبس الثياب القصيرة وتمسك بالبنطلون والقميص، وظل يمارس هوايته المفضلة «الرسم» رغم أنف أخيه الأكبر الذي أفتى بتحريم رسم كل ذي روح.

يوماً ما أنذره الأخ الأكبر بالموت إذا لم يحضر الصلوات الخمس جماعة في المسجد. عناد يوحنس ومقته لتسلط أخيه الأكبر دفعاه إلى ترك الصلاة نهائياً، وأعلن ذلك للجميع بإصرار وتحد، فما كان من أخيه الأكبر إلا أن نفذ فيه حد الردة بعد أن استتابه ثلاثة أيام بلياليها، وأحرقه بالنار في القبو، غير مبال بتوسلات النساء وعويلهن.

حينما تصاعدت رائحة اللحم المشوي إلى الأنوف

المحمرة من شدة البكاء، دخلت الأم في حالة غيبوبة طويلة، لم تفق منها حتى الآن.

حينما فرغ الأخ الأكبر من عمله وخرج من القبو يردد آيات العذاب، كانت «سعيدة» الوحيدة التي جرؤت على النزول إلى القبو، فرأت يوحنس متكوراً على نفسه وقد اختلط لحمه بعظامه وصار قطعة فحم نتنة لا صلة لها بالإنسانية. ومنذ تلك اللحظة المشؤومة، أصيبت «سعيدة» بلوثة عقلية، ظلت تنتابها بين حين وآخر مدى الحياة.

تحت جنح الظلام فرت من البيت، ومشت في شوارع صنعاء القديمة المقفرة تبحث لها عن مأوى يبعدها عن الوحش الرابض بين عينيها.

حين خرجت من صنعاء القديمة عبر باب اليمن رأت عجباً.. رأت أخاها يوحنس واقفاً بجوار النافورة المخروبة، وأمامه رافعة خشبية عليها لوح أبيض للرسم، وعلى كتفه حقيبة جلدية صغيرة مفتوحة تتدلى منها علب الألوان الزيتية والفرش بمختلف أحجامها، ولا مبالياً راح يرسم أنجس بقعة على وجه الأرض.

اقتربت «سعيدة» بخوف وتوجس من يوحنس المنهمك في الرسم، وتبينت ملامح وجهه المحترق الممتلئ بالخطوط والأخاديد. انشغلت «سعيدة» بمراقبة يوحنس وهو يرسم حجارة باب اليمن المكونة من الياجور الأحمر بصبر ودأب وكأنه يضع في كل حجر سراً خاصاً من أسرار المدينة. لاحظت «سعيدة» الطريقة الغريبة التي يرسم بها يوحنس كل حجر من أحجار باب اليمن.. وبالرغم من أنها حجارة مستطيلة صقيلة ومتلاصقة لا يمكن إظهار أي بعد ثالث لها، فإن يوحنس المتصبب عرقاً بلون الدم كان ينحو منحاً مستحيلاً، متصوراً إمكانية إظهار البعد الثالث لكل حجر من أحجار باب اليمن، عن طريق رسم الياجورة بداخل ياجورة أخرى، وتلك الياجورة بداخلها ياجورة أخرى وهكذا إلى ما لا نهاية، مع تدرج اللون الأحمر إلى لون أحمر أغمق بداخل لون أحمر أغمق من سابقيه ثم لون أحمر أغمق من كل ما سبق وهكذا إلى ما لا نهاية.

قالت «سعيدة» ليوحنس:

- أو لم تمت؟

قال يوحنس وعيناه مركزتان على لوحة الرسم:

- لا شيء يموت في هذا العالم ، الله لا يفرط في شيء صنعه مهما كان تافهاً، أنا الآن زائد عن الحاجة ومطروح في المخزن مع أشياء أخرى كثيرة يدخرها الله للأيام القادمة..

اغنية حبشية راقصة

انخطف بصر «سعيدة» إلى السماء فرأت كتلة نارية حمراء تخترق الغلاف الجوي للأرض محدثة صوتاً مزعجاً كصفارة الإنذار، ثم ارتطمت بمبانٍ في حارة السلطان بصنعاء القديمة أحالتها على الفور إلى ذريرات من غبار، وأحدثت في الأرض فجوة دائرية عظيمة، واهتزت الأرض تحت قدمي «سعيدة» اهتزازاً شديداً حتى أنها فقدت توازنها وسقطت مشلولة على الأرض، وتطاير شعر رأسها كله في غمضة عين بفعل الضغط الناتج من الانفجار.

استباح الدوي الهائل سكون الليل، وتطايرت شظف النار في كل اتجاه، واخترقت شظفة واحدة على الأقل

كل بيت من بيوت صنعاء القديمة، مما أدى إلى اشتعال الحرائق في المدينة القديمة بأكملها في وقت واحد وبإيقاع موحد تقريباً.

ذعرت «سعيدة» ذعراً شديداً من ألسنة اللهب الخارجة من النافورة المخروبة، فولتها دبرها وقطعت عدة كيلومترات باتجاه الشرق حتى وصلت إلى تبة عالية من تباب نقم تسمى «ظهر حمير».

التقطت أنفاسها على صخرة عملاقة تطل على المدينة المنكوبة، وأمضت قرابة الساعة في تأمل الحرب الدائرة بين النيران والحجارة، وحين أحست بالنسمات الباردة تقلقل عظامها، شرعت في البحث عن مأوى يدفئها.

الكلاب الضالة المتشردة راحت تطاردها، وتحوم حولها، ولولا مدافعتها عن نفسها بالأحجار لكانت الكلاب قد انقضّت عليها، وأكلت لحمها وتفرقت عظامها فيما بينها. هرولت إلى مبنى مهجور دائري الشكل، كان في السابق مطعماً سياحياً، ودخلت من إحدى النوافذ المكسورة في الطابق الثاني، بعد أن تسلقت عموداً مدرجاً قصد بانيه تشبيهه بأشعة الشمس عند شروقها على المدينة.

ربضت الكلاب هادئة تحت النافذة المكسورة، بينما شعرت «سعيدة» بالأمان من الكلاب والنيران وتطرف أخيها، وأحست بالدفء ينساب في مفاصلها أخيراً.

راحت تتفرج من وراء زجاج النوافذ على منطقة ظهر حمير الخلوية الشديدة السكون، واجتذبها منظر جبل نقم بقممه الثلاث الشامخة في عنان السماء، وكأنما القمة الوسطى الأشد علواً رأس فارس مغوار، والقمتان على الأجناب كتفاه العريضتان، فبدا الجبل برمته كجسد لمخلوق أسطوري ينتظر إشارة ما لنفض غبار الزمن وخوض غمار حياة مليئة بالبطولات والعجائب. فجأة أحست بثقل هائل ينحط عليها من الخلف ويضغطها على نفسها كعجينة في يد خباز، ثم انخطفت مرفوعة في الهواء.

حين استردت القدرة على التنفس، صرخت بكل قوتها مستنجدة بكل من تعرف، ولكن الكلاب وحدها من سمعت صرخاتها فهبت تنبح بأقصى طاقتها.

انطرحت على فراش قطني دافئ، وأحست بأنفاس حارة متسارعة تلفح وجنتيها المحمرتين من البكاء، ومن بين

غشاوة الدموع ميزت أسناناً بيضاء سال منها لعاب غليظ على شفتيها المرتعشتين..

ظلت تصرخ وتقاوم كقطة برية محاصرة زادها الحصار توحشاً، ولكن الكفين الرحبتين اللتين التفتا حول عنقها وضغطتا عليه بشدة في بداية الأمر ثم برفق محسوب، جعلتاها ترضخ للأمر الواقع وتستسلم تماماً لمعتليها الجبار.

مزق الغازي فستانها بيديه، واستخدم أسنانه البيضاء في انتزاع سروالها، وطحنهُ بين فكيه ثم أخرجه شذرات.

أوشكت على الإغماء بسبب القبلة الطويلة البالغة العنف، وحين توقف عن المص أحست بشفتيها الصغيرتين تنزان دماً.

قلبها على بطنها، وتحسس طويلاً ظهرها وفخذيها والأماكن الحساسة في جسدها، ثم أطلق وابلاً من قبلات شبقة على سائر أعضائها.. وفي لحظة غريبة صمتت فيها الكلاب عن النباح وكأنما هي تسترق السمع، أحست بشيء ساخن ينحشر بين ردفيها.

استيقظت في الظهر، وضوء النهار يُعشي عينيها، وجسدها مفكك متورم يتذمر من أقل حركة.

رأت نفسها في مكان ضيق أشبه ما يكون بقفص للطواويس، جدرانه منزوعة البلاط، وملاطه أسود مشوه، والسقف غاص ببيوت العناكب السوداء المتطلعة بفضول إلى الصبية العارية في الأسفل.

أشعة الشمس كانت تجلس القرفصاء تحت النافذة المفتوحة بلا ضلفتين، فتنفست «سعيدة» الصعداء، وانساب إلى قلبها فرح صغير بوجود هذه الفتحة المشرقة التي جعلتها تتحمل كآبة الجدران البشعة المحيطة بها.

رويداً رويداً، استعادت قدرتها على التفكير، وتمكنت من التغلب على الحالة الشفقية التي تعقب الاستيقاظ من نوم طويل كخرطوم فيل، وأدركت أنها في حمام عربي تفوح من نقرته عفونة تاريخية لا تطاق، وأنها نائمة على فراش قطني رث كالح اللون، وعند قدميها لحاف مرقع قذر، وتحتها مباشرة بقعة دم يابسة.

حينما تذكرت ما حدث لها، عاودتها الآلام الفظيعة،

وندت عنها تأوهات عظيمة وانتحبت حتى تمزقت حبالها الصوتية.

أفزعها خروج البول وعدم قدرتها على التحكم به. بحثت عن ملابسها فلم تجد لها أثراً، ثم تذكرت أن مغتصبها قد مزقها إرباً.

لم تكن تعرف ما فعل بها الغاصب بعد أن أغمي عليها في ذروة الألم، ولكنها تحاملت على نفسها وبذلت مجهوداً خارقاً حتى تمكنت من التشبث بسياج النافذة، فأطلت على منور بابه مخلوع يؤدي إلى ما كان في الأيام الخوالي مطبخاً عصرياً باهظ التكاليف وهو الآن خراب يباب.

فكرت في الهرب، ثم تذكرت أنها عارية كما خلقها بارئ السماوات ولا ملابس تسترها، فاتخذت من اللحاف المرقع ستارة، وصممت على الفرار.

فوجئت بنفسها عاجزة عن القفز من النافذة، وأحست بأوجاع شديدة في المقعدة، بكت بكاء مراً حين تخيلت نفسها وقد ماتت جوعاً وعطشاً في هذا المكان المهجور وهي عاجزة عن الخروج منه.

غربت الشمس وأرخى الليل سدوله وعم الظلام الدامس الحمّام والمنور، وازداد عذاب «سعيدة» أضعافاً، وأذهب الخوف من الظلام ووحوشه البقية الباقية من عقلها، فصارت تهذي وتتكلم مع نفسها بصوت عال، وتتخيل نفسها تتشاجر مع أخيها الأكبر في بيت أسرتها.

في منتصف الليل تقريباً، سمعت الكلاب تنبح بشدة، فسكتت عن الكلام وأرهفت السمع، وعلى الفور تصاعدت دقات قلبها الخائفة إلى الأوج.

سمعت شيئاً ثقيلاً يرتطم بأرضية الطابق الثاني، ثم صوت خطوات بطيئة تنزل الدرج إلى الطابق السفلي. خفق قلبها حتى خشيت أن يسمع القادم دقاته فيستدل على مكانها، شتمت ولعنت في سرها قلبها المرتجف وتمنت لو تخلعه من صدرها وترميه في نقرة كرسي الحمام العربي.

الخطوات الثقيلة الوطء تقترب، صوت صرير مفصلات باب صدئ.. الخطوات تجوس المطبخ.. إضاءة كشاف يدوي صغير تتسرب إلى المنور.. الخطوات تصبح بطيئة وحذرة وهي تلج المنور، ضوء الكشاف يقتحم الحمام العربي.. يتسلط على وجه «سعيدة» الشاحب المذعور.

حامل الكشاف يقفز قفزة صغيرة عبر النافذة ويصبح في الداخل، يشعل عود ثقاب ويوقد شمعة يركزها على سياج النافذة.

يطفئ الكشاف ويخبئه في حقيبة رياضية مهترئة تضم حاجياته، ينظر إلى «سعيدة» بعينين حمراوين كأنهما جمرتين، ثم يخلع بنطاله وسرواله، ويجلس على الكرسي ليخرأ. دققت «سعيدة» في ملامحه على ضوء الشمعة، وتمكنت من التعرف إلى شخصيته.. إنه «أبرها» اللاجئ إلى اليمن فراراً من الحرب الأهلية المشتعلة الأوار في الحبشة، والذي امتهن مسح وغسل السيارات المتوقفة في منطقة باب اليمن.

عرفته منذ سنوات مثابراً على جمع ورق الجرائد التي يشتريها الأميون بغرض وضعها تحت مؤخراتهم ثم يتركونها بعد انصرافهم، حيث كان يستخدم الورق لتنظيف زجاج السيارات، وأحياناً كان يناول ورق الجرائد لصاحب الفرن في مقابل قرص أو قرصين، ومن الطريف أن الزبائن كانوا يشيدون بنكهة الروتي اللاذعة!

لقبه أهل باب اليمن بـ«عمود الإنارة» لطول قامته المفرط،

وأما «سعيدة» فقد هالها منظر عضوه التناسلي الواقف كصارية سفينة تتأهب للغزو.

امتلأ الحمام برائحة منفرة لا تطاق، وأخرج من الحقيبة كيساً وعلبة ماء بلاستيكية كبيرة شرب منها حتى ارتوى، ثم أعطاها لصيده الثمين.

شربت «سعيدة» بلهفة وتوتر كما لم تشرب في حياتها كلها، وكادت أن تلثم اليد الزنجية التي سقتها ذاك الماء الزلال.

أكل أبرها دجاجة مشوية وأربعة أرغفة لوحده، وحين تشجأ شبعاناً، أعطى السؤر لـ«سعيدة» التي أكلت بنهم شديد رغيفاً واحداً فيه آثار من زفر الدجاجة وشحمها.

عندما فرغت «سعيدة» من عشائها الخفيف، أرسل أبرها نفخة عظيمة بنفس واحد من مكانه فأطفأ الشمعة، ثم عاود فعلته بالأمس.

الاستغاثات الواهنة التي أطلقتها «سعيدة» لم يسمعها أحد سوى النجوم.

أمضت «سعيدة» قرابة الشهر مع أبرها في وكره المهجور، وفطنت إلى أنه كان يطعمها قليلاً ويلوط بها كثيراً بقصد جعلها عاجزة عن الفرار، إذ كان يمضي جل النهار في مسح السيارات ولا يعود إلا متأخراً.

صارت هيكلاً عظمياً لا يقوى على الوقوف، وباتت تتنقل في أرجاء الحمام الضيق حبواً من شدة الضعف والوهن.

كعادته استيقظ أبرها في الساعة الخامسة على صوت المؤذن، تمطى وضرط ثم أشعل سيجارة وراح يدخنها بتلذذ لا يدانيه شيء، كان عضوه منتعظا ببول الصباح، وكانت «سعيدة» شريكته في الفراش تنام على بطنها وتشخر شخيراً مضطرباً.. نظر بشهوة إلى فتحتها المغرية، تأملها طويلاً متلذذاً بتذكر غزواته الليلية المظفرة، كانت ساقاه لا تقويان على حمله، لشدة إفراطه في الاستمتاع والإراقة، فما كان منه إلا أن تبول في فتحتها ليجتني لذة فائقة لم تخطر له من قبل على بال.

استيقظت «سعيدة» مباشرة وهي تشعر بحرقة شديدة في شرجها الذي لم تشف جروحه بعد، وملأت ظهر حمير صياحاً كما لم تفعل منذ أمد بعيد.

حمل أبرها حقيبته التي تضم كل حاجياته، ومضى منحدراً إلى باب اليمن ليدرك زبائنه قبل ذهابهم إلى أعمالهم، وعلى ضوء الفجر الخافت اختفى أبرها من عالمها وهو يدندن بأغنية حبشية مرحة راقصة.

الظرفاء يرتدون البزات الكاكية

«سيف» شاب مهووس بطلب العلم، ولديه الرغبة الكاملة في الحصول على أرفع الشهادات الأكاديمية، ولكن زوج أمه، مثري الحرب، كان يطرده من قصر أجداده ليحصّل قوت يومه.

قبل سنوات بعيدة غائرة في الذاكرة، غرق والد سيف في البحر الأحمر، والتهمت جثته الحيتان الكبيرة.

بوسائل غريبة وفي ملابسات غامضة، تمكن شرمان النقيب مهرب السلاح الشهير من الزواج بأم سيف، سليلة عرق الأسر الحاكمة في صنعاء، ومن ثم استولى تدريجياً على أملاكها الشاسعة التي ورثتها كابراً عن كابر.

شرمان القليس رجل قصير القامة دميم الخلقة، ولكن شاربه الطويل كحبل الغسيل ثبّت هيبته في عيون تجار السلاح، وجعل الحكومة تخشى خطره وتدفع له إتاوة شهرية!!

قام بتوظيف خادمين مهمتهما حمل شاربه المفدى في كل أرجاء القصر، وذلك خوفاً على شاربه البالغ طوله ثلاثة أمتار وبضعة أشبار من عشرات القطط التي يربيها سيف، لأنها ستنقض على شاربه وتقطعه إرباً إرباً إذا ما رأته يسحب على الأرض.

في الأقبية السرية تحت القصر، كان شرمان القليس يربي دابة خطرة تسمى «الخمنجان» وهو من الجن المتشيطنة، عثر عليه في أدغال أفريقيا، خلقه الله على هيئة القضيب، لونه بلون الفحم، وصوته صوت فيل، وحجمه بحجم الإنسان المعتدل القامة. كان في الليالي التي يغيب فيها القمر، يطلق سراح «الخمنجان» ليلاحق النساء الأرامل في صنعاء القديمة، فيأتيهن كما يأتي الرجل زوجته، فما يزال يأكل من دواخل الضحية حتى يتسنى له الدخول بكامله من فرجها، ويكون خروجه بعد وصوله إلى يافوخها ومضغه مخها، فيحصل منه صوت

كتجشؤ الشبعان، وتنبعث منه رائحة كريهة كرائحة الظربان، فما يقدر على إمساكه أحد.

الاضطهاد اليومي الذي كاله شرمان القليس لعدوه اللدود «سيف» جعل الأخير يصاب بنوبة اكتئاب عسيرة العلاج، وكان يخفف من وطأة الاكتئاب بقضائه ساعة كاملة يومياً في البكاء المر تحت اللحاف، بعيداً عن أعين الرقباء.

بتفاقم المرض عاماً بعد آخر، بات البكاء لا يجدي فتيلاً، فنصحه الطبيب النفسي المشرف على علاجه بالخروج إلى البرية لإطلاق العنان لعقيرته سباً وشتماً، وتفجير حنجرته بصيحات وحشية حيوانية.

اتبع «سيف» نصيحة طبيبه، فأحس بتحسن ملحوظ في مزاجه. وفي إحدى المرات خرج من القصر ضحى، وقادته قدماه إلى ظهر حمير، وهناك فتح فمه على آخره، وتردد صدى صراخه الغاضب المسعور في جنبات جبل نقم الملاصق للتبة المذكورة، فتناهى إلى سمع «سعيدة» صدى الصرخات، فانبثق في قلبها أمل بالخلاص من العذاب المهين.

استجمعت «سعيدة» ما تبقى في جسدها الهزيل من قوة، وأطلقت صرخة طويلة ممزوجة بالألم والعويل.

دار سيف حول المطعم المهجور، ثم كسر بابه الخشبي المتهالك بركلات من قدمه، وتتبع مصدر الأنين حتى وصل إلى «سعيدة» المنكفئة على نفسها في لحاف مرقع قذر.

اشمأزّ سيف من رأس «سعيدة» الأصلع، ومن يدها اليسرى المكسورة من المعصم، ومن رائحتها المنفرة الجيفة، ومن جسدها الذي أصبح جلداً على عظم كأجساد العائشين في مجاعة.

انتابت «سيف» قشعريرة تقزز رغماً عنه من المسخ الذي يراه، وأحس بالدوار، بأمعائه تتقلب، بمعدته تتحرق شوقاً إلى تقيؤ طعام الإفطار.

طلبت منه «سعيدة» إبلاغ الشرطة للوقوف على حالتها، ومن ثم إلقاء القبض على مستأسرها.

نزل «سيف» إلى المدينة، واتجه صوب مخفر الشرطة، وطلب مقابلة عقيد العقداء.

قاده العسكر إلى الأقبية المتعددة الطوابق ذات الممرات المعقدة كالمتاهة، وأدخلوه زنزانة سوداء من كثرة تراكم الأوساخ، وعرفوه بعقيد العقداء الجالس في ركن على كرسي من فضة مغطى بطبقة من سجاد فاخر.

كان عقيد العقداء مشغولاً بالتحقيق مع أربعة من الشواذ، قبض عليهم بالأمس وهم يمارسون الشذوذ في المسجد وقت القيلولة.

ذهل «سيف» من الآلية التي يطبقها عقيد العقداء في التحقيق .. فقد كان يأمر الشواذ الأربعة بالتعري التام، ثم إعادة تمثيل الجريمة أمامه بحذافيرها وهو يدخن ثلاث سجائر في وقت واحد!

طلب عقيد العقداء من الشواذ الأربعة إعادة تمثيل الجريمة أكثر من عشر مرات، حتى أن بعضهم جأر بالبكاء طالباً الرحمة، إذ لم يعد قادراً على احتمال المزيد من «الشغل».

فهم «سيف» أن عقيد العقداء كان يتبع أسلوباً مبتكراً لتعذيب مرتكبي الجرائم. وحين أعلن عقيد العقداء أخيراً

عن راحة قصيرة لمدة خمس دقائق، تجرأ «سيف» وأبلغ عقيد العقداء بحادثة اختطاف واغتصاب طفلة من صنعاء القديمة لم تصل سن البلوغ على يد مجرم حبشي.

أمر عقيد العقداء بإرسال قوة من المخفر لإنهاء الاختطاف، ولكن العسكر طلبوا إعفاءهم من المهمة، نظراً لانشغالهم بملاحقة التجار المتهربين من دفع الضرائب. ألح «سيف» في طلب الحماية، فما كان من عقيد العقداء المستاء من تقاعس عسكره إلا أن أمر الشواذ الأربعة بارتداء البزات العسكرية الكاكية، وقام بتسليحهم ببنادق آلية سريعة الطلقات، وأعلن لهم أن نجاحهم في إنهاء الاختطاف سيجعله يغلق ملف القضية، ويصدر عفواً عنهم.

انطلق «سيف» على رأس المسلحين الأربعة، وصعد بهم إلى تبة ظهر حمير، كان الوقت ظهراً حين وصلوا إلى «سعيدة» وسمعوا منها حكايتها الطويلة.

قال زعيم الأربعة:

- سنضطر إلى البقاء هنا حتى عودة أبرها في الليل، وأما أنتما فبإمكانكما الذهاب في سلامة.

قالت سعيدة بصوت أجش:

- لن أغادر هذا المكان حتى أراه مقتولاً.

قال زعيم الأربعة:

- هو كذلك، إذاً يا سيف يلزمك أن تنزل إلى المدينة، فتشتري ثياباً لسعيدة، وغداءً دسماً ثقيلاً يصبّرنا على سهر الليلة.

بعد خروج سيف في قضاء حوائجهم، صعد الأربعة إلى الطابق الثاني، وراحوا يتفرجون من النوافذ الدائرية على المدينة الراقدة في الأسفل، وعلى جبل نقم الرابض في الأعلى.

قال واحد من الأربعة:

- لو كنا نعلم أن الفتاة المخطوفة قبيحة وبشعة بهذا الشكل لما ورطنا أنفسنا في تحريرها.

- حقاً .. إنها بشعة لا تحتمل.. تبدو وكأنها خارجة من القبر.

قال زعيم الأربعة مبتسماً بتخابث:

- لو كانت جميلة أو على الأقل غير مشوهة لكنا خطفناها بدورنا نحن.

قال قائلهم:

- كنت أود رؤية وجه سيف حين يعود ولا يجد فتاته ولا يجدنا.

قال زعيم الأربعة زامّاً شفتيه:

- يكفينا من هذه المغامرة أن نخرج بغداء دسم، إن هذا بحد ذاته غنيمة.

المجداف الرابع

لعنة عظام الملكة

في فندق «تاج سبأ» عقد شرمان القليس مؤتمراً صحفياً، دعا إليه محرري الصحف المحلية ومراسلي وكالات الأنباء الأجنبية، ووجه دعوات إلى عدد كبير من الشخصيات الاجتماعية البارزة وسفراء الدول.

افتُتح المؤتمر بتلاوة آيات من سورة «النمل» تتحدث عن قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس ملكة سبأ الشهيرة. عقب التلاوة، تحدث شرمان القليس قائلاً:

ـ قبل ست سنوات كان رجالي يحفرون مخابئ سرية تحت الأرض في صحراء مأرب، كنا نقوم بإخفاء الأسلحة المهربة وتخزينها لحين توفقنا في صفقة سلاح

مع إحدى القبائل، ولكن واحداً من هذه المخابئ اندثرت معالمه، وفشل أدلاؤنا من البدو في الاهتداء إليه، فاضطررنا إلى الحفر في المواقع المحتملة، حفرنا عميقاً فوجدنا مفاجأة لم تدر بخلدنا، عثرنا على مقبرة ملكية، وهذه المقبرة عبارة عن متاهة من الأنفاق والسراديب، والمكان برمته يعج باللقى والقطع الأثرية، وقد قمت شخصياً بتسليم كل الأواني الفخارية والأدوات المعدنية والزجاجية التي عثرنا عليها للمتحف الوطني بصنعاء، ولدي محاضر استلام تثبت ذلك.

أما المهم في الموضوع فهو عثورنا على نقش بالخط المسند يؤبن الملكة السبئية بلقيس، وحين رفعنا النقش، اكتشفنا وجود عظام الملكة المذكورة في خبيئة ملكية مزدانة بالنقوش الغامضة المعنى، والأرقام التي تملأ جداراً كاملاً.. وفي تلك الأيام كانت وسائل الإعلام مشغولة بتجارب الاستنساخ البشرية الناجحة في أميريكا وأوروبا، وسمعت أيضاً أن الروس قد تمكنوا من استنساخ الزعيم الشيوعي الراحل «لينين» من خلايا استخرجت من عظامه.. فطرأت في بالي فكرة استنساخ الملكة بلقيس عن طريق استخراج خلايا من عظامها التي عثرنا عليها في الخبيئة الملكية بمأرب، وتبلور المشروع في رأسي

وتحول إلى حلم حياتي، فقمت بالاتصال بأشهر علماء البيولوجيا في العالم محاولاً إثارة اهتمامهم بمشروعي، إلى أن تحمس الدكتور «أسد هود» لفكرتي، وشرع طيلة السنوات الست المنصرمة في إجراء التجارب، والتحضير لعملية الاستنساخ في معمل جهزته له بأحدث المعدات وأكثرها تقدماً على مستوى العالم، وذلك بقبو أسفل القصر الذي أسكنه.

نهض أمير الجماعة الإسلامية في اليمن الذي يشبه عقله كهف أهل الكهف وصاح بأعلى صوته:
- الاستنساخ محرم شرعاً يا شرمان.

ثار لغط في القاعة، وتعالت تكبيرات مؤيدة للأمير، وأحس شرمان بأن زمام الأمور سيفلت من يده، فاضطر إلى تجاهل أمير الجماعة الإسلامية وفجر مفاجأته بلا مقدمات:
- الأخوة الحضور.. لقد نجحنا في استنساخ الملكة بلقيس.

عم الهدوء الذي يسبق العاصفة القاعة، واشرأبت الأعناق إلى شرمان الذي تابع قائلاً:

- نعم .. بلقيس المستنسخة حية ترزق، وعمرها الآن أربعة أشهر في بطن أم تبرعت بنفسها لخدمة المشروع، ونبشركم بأنها طبيعية، وكاملة التكوين بحسب التقارير الطبية، وحالتها مستقرة، بل ويمكنكم مشاهدتها عبر الكشافة التلفزيونية.

لوح أمير الجماعة الإسلامية بعصاه في وجه شرمان مهدداً، ثم خرج من القاعة ودماؤه تغلي غضباً، وتبعه ثلث الحضور.

تحمس بعض الصحافيين والفضوليين لفكرة الذهاب إلى المعمل لرؤية الملكة بلقيس وهي تتحرك في رحم أمها.

على الفور استأجر شرمان القليس عدداً من الباصات السياحية الفخمة لنقل الحضور إلى قصره، ثم طلب من إدارة فندق «تاج سبأ» إرسال وجبة غداء تكفي لألف شخص إلى القصر مع الخدم، وطلب منهم مازحاً تسجيل فاتورة هذه الوليمة الفلكية الأرقام على حساب ملكة اليمن القادمة.

رفض زعيم المعارضة العلمانية الأمرد الذي تبرع بشاريه

لصالح مشاريع خيالية فاشلة الذهاب إلى قصر شرمان، ووصف ما يحدث بأنه تهريج إعلامي، وضحك على الذقون.

خرج زعيم المعارضة العلمانية من القاعة بطريقة استعراضية، وتبعه نصف الحضور تقريباً.

في قصر شرمان كانت الوليمة أصغر بكثير مما كان متوقعاً، وعقب وجبة الغداء نزل الضيوف إلى القبو المستخدم كمعمل، والتقطوا آلاف الصور لبلقيس وأمها «يكسوم» اللاجئة الحبشية الفارة من الحرب الأهلية في بلادها، والتي اضطرت تحت ضغط الحاجة إلى التكسب بفرجها.

في اليوم التالي ظهرت صور «يكسوم» والجنين الذي زرع في أحشائها في معظم الصحف المحلية وعدد من الصحف الدولية، مع تغطية خبرية غير مسبوقة في الصفحات الأولى كخبر رئيس. وأما الصحف الإسلامية الموالية لأمير الجماعة فقد شنت هجوماً كاسحاً على شرمان القليس ود. أسد هود، ووصفتهما بالردة عن الإسلام، ونشرت فتاوى شرعية موقعة من كبار علماء

الدين في البلاد بتحريم الاستنساخ البشري تحريماً قطعياً.

وفي مساء اليوم ذاته أقيمت مناظرة على الهواء مباشرة بين شرمان القليس وأمير الجماعة الإسلامية في اليمن، بثتها العديد من وسائل الإعلام العربية والأجنبية ـ مصحوبة بترجمة فورية ـ وانتهت المناظرة عندما أعلن أمير الجماعة الإسلامية إهدار دم شرمان القليس ود. أسد هود والعاهرة الحبشية، أو فأرة التجربة كما أسماها الأمير.

وتناقلت وكالات الأنباء العالمية الخبر المثير في سرعة البرق،مما أدى إلى تركز أنظار العالم على القبو المستخدم كمعمل.

عاد شرمان القليس إلى قصره قبيل منتصف الليل متعباً من التصريحات الصحافية التي أدلى بها لعدد لا يحصى من مراسلي وكالات الأنباء ومندوبي الصحف.

عاد دائخاً وإن كان وجهه يشع سعادة، وقلبه ينبض بفرحة داخلية عميقة.

وجد في انتظاره عشرات الإحضارات من المحكمة،

حيث أقام عليه المحامون الموالون للجماعة الإسلامية دعاوى قضائية، تطالب بإقامة حد القتل عليه لمخالفته الفتاوى الشرعية التي تحرم الاستنساخ البشري بكافة أشكاله وصوره، وكذلك رفعوا دعاوى تطالب بإجهاض حمل المرأة المتبرعة.

غط شرمان القليس في نوم هنيء غير آبه بتحذلق الإسلاميين عليه.

المجداف الخامس

الراس محفوظ في الثلاجة

عاد سيف إلى تبة ظهر حمير قرب العصر، حاملاً على ظهره سمكة مشوية تزن ستة كيلو غرامات، وتحت إبطه كيس بلاستيكي مقوى فيه ثوب أبيض ومعطف أسود على مقاس «سعيدة»، وفي إحدى يديه عشر خبزات «رشوش»، وفي الأخرى أكياس فيها أرز أبيض وسحاوق حارة وإيدام عدني «صانونة».

استقبله الشواذ الأربعة بالأهازيج الحربية، وأطلق كل واحد منهم عياراً نارياً في الهواء تعبيراً عن فرحهم بوصوله، ووصول غدائهم الذي طال انتظارهم له.

تركهم سيف يعدون الغداء في الطابق الثاني، وتوجه

نحو سعيدة التي شبا وجهها حين رأته وتحركت الدماء في عروقها، أعطاها الثوب والمعطف وأمرها أن تلحق به إلى الطابق الثاني لتشاركهم وجبة الغداء.

قالت له سعيدة بانكسار وحزن:
- انتظر، لا تذهب، أنا لا أستطيع الحركة إلا حبواً، حين تنتهون من غدائكم لا ترموا السؤر، أعطوه لي..

قال سيف وقد أشرق وجهه بابتسامة عريضة:
- سأنتظرك حتى ترتدي ملابسك ثم سأحملك على ظهري إلى الأعلى.

قالت سعيدة بلهجة استنكار:
- لكن هذه ملابس ولد!

قال سيف وقد وقف في زاوية تحجب عنه رؤيتها:
- تعمدت ذلك لكي يمكنني حملك على ظهري في شوارع صنعاء دون أن أثير ريبة أحد الغيورين، كما أن تنكرك في ثياب صبي سيساعدني على استضافتك في بيتنا.

قالت سعيدة بصوت ينم عن الرضا:
- فهمت.. عفواً لقد نسيت الملابس الداخلية!

خبط سيف يده على جبهته قائلاً:
- اللعنة، كيف فاتني ذلك؟!

أطلقت سعيدة ضحكة صافية من أعماقها ثم قالت:
- لا تنزعج، ناولني العمامة من فوق رأسك لأتزر بها.

أنهت سعيدة ارتداء ملابسها، ثم تعلقت بسيف وصعدا إلى الأعلى. التأم شمل الستة حول الطعام، وانهمكوا في الأكل بشهية مفتوحة.

لاحظ الشواذ الأربعة العرق الغزير المتصبب من وجه سعيدة الشديد الاحمرار، وأحسوا بحرارة جسدها المحموم تلفح وجوههم، وتشيع حولهم جواً حاراً.

قال أحدهم متقززاً:
- لقد تبولت تحتها.

اتجهت أنظار الجميع إلى بركة الماء الصغيرة أسفل قدمي

سعيدة التي اسودّ وجهها خجلاً ـ كان الستة يجلسون القرفصاء لكيلا تتسخ ملابسهم من الغبار ـ وغصّ سيف باللقمة وشعر بالخجل هو أيضاً.

قال زعيم الأربعة متنهداً:

ـ أيها الغبي هذا ليس بولاً، إنه عرق نز من قدميها بسبب التهامها طعاماً كثيراً بعد تجويع طويل.. لقد عايشت حالات كثيرة كهذه في السجون.

تنفس سيف الصعداء واستساغ حلقومه اللقمة، وابتسمت سعيدة لزعيم الأربعة شاكرة معروفه.

التهمت سعيدة وحدها خمس «رشوشات» وقضت بمفردها على نصف السمكة، وأتت على الأرز الأبيض بأجمعه إلا من اغترف بجماع كفه حفنة منه، أصيبوا خمستهم بالذهول الشديد من قدرة سعيدة على التهام تلك الكميات الهائلة من الطعام.

فترت همة الجميع عن الأكل وشعروا بالشبع، وراحوا يرمقون باستغراب وإشفاق يد سعيدة اليمنى السليمة الممسكة بقطعة خبز مغموسة في الصانونة العدنية، وقد

نسيتها هناك وأرخت رأسها على صدرها وأغمضت عينيها وغرقت في سبات عميق.

حملها سيف بين يديه إلى الأسفل، ومددها على الأرض في مكان نظيف جيد التهوئة، بعد أن فرش تحتها معطفه الثمين.

كانت مبلولة كأنها غرقت في ماء ساخن، وبطنها منفوخ كامرأة حبلى في شهرها التاسع. عاد سيف إلى رفاقه والدموع تسحّ من عينيه، شاركه الأربعة في البكاء على المصير الفاجع الذي عاشته سعيدة قبل مجيئهم، وتعاهدوا بشرفهم على الثأر لها من المجرم الذي هتك عرضها وجوّعها جوعاً شديداً حتى حولها إلى حيوان يسير على أربع.

في الساعة الحادية عشرة ليلاً، والبدر في اكتماله بازغاً، سمع الستة وقع خطوات قادمة نحوهم، كمن الأربعة بجوار النوافذ المطلة على الطريق المؤدي إلى المطعم، وعمّروا بنادقهم الآلية، ووضعوا سباباتهم على زناد النار.

توقف «أبرها» على بعد مئة متر، حين لاحظ أن باب

المطعم المهجور مكسور. انشق سكون الليل بصرخة مدوية من سيف تطلب إطلاق النار، تراجع «أبرها» خطوة قصيرة إلى الخلف، ثم انهمر عليه وابل من الطلقات الطائشة.

في خفة القرد راح «أبرها» يهبط من تبة ظهر حمير، وهو يسمع مطارديه يتعقبونه على نور البدر الساطع، وهم يطلقون عليه عياراً مصوباً بعشوائية كل بضع ثوان. بطلقة نارية موفقة من بندقية زعيم الأربعة، وقع «أبرها» صريعاً، بعد أن استقرت الرصاصة في قحف رأسه. طلبت سعيدة من سيف أن يحز رأس أبرها ويضعه في الحقيبة الرياضية المعلقة بكتفه. قام زعيم الأربعة بفصل رأس أبرها عن جسده بعشر طلقات تكفلت بقطع عنقه.

تفرق الشواذ الأربعة في حواري صنعاء القديمة، ودخل سيف وضيفته القصر رغم أنف الحراس الذين تلقوا أوامر من شرمان بمنع دخول الغرباء.

قامت مدبرة القصر «ريحانة» بتجهيز عشاء فاخر لسيف وضيفه «مسعود» وفرشت لهما مائدة عامرة بأكثر من عشرين صنفاً من الطعام.

عقب العشاء، أحضرت ريحانة بيجاما أنيقة تناسب الضيف الصغير، وطلبت منه التوجه إلى الحمام، حيث جهزت له الماء الساخن في البانيو والصابون والمنشفة.

فوجئ سيف بالاهتمام الذي توليه ريحانة لضيفه، وخشي أن تكون قد كشفت سره وتعرفت إلى سعيدة.

تحممت سعيدة ساعة كاملة، أمضتها في دعك جلدها المسودّ من الوسخ العالق به طيلة شهر وزيادة، ثم خرجت من الحمام لتجد ريحانة في الممر وفي يدها البخور، وبعد أن بخرتها قادتها إلى غرفة نومها المجاورة لغرفة سيف.

تحت السرير وجدت الحقيبة الرياضية المهترئة، فتشت عن رأس أبرها فلم تجده، قلبت الحقيبة رأساً على عقب فسقطت منها قصاصة ورق، تناولتها وقرأت الكلام المكتوب فيها:

(غلفت الرأس في أكياس سوداء ووضعته في الثلاجة).

حدست سعيدة بأن كاتبة الرسالة هي ريحانة. استلقت على ظهرها، ونامت بمجرد ارتخاء أجفانها.

استيقظ سكان القصر في الصباح على دوي مكبرات الصوت التي تردد الآيات القرآنية، وحين أطلوا من النوافذ، شاهدوا الآلاف من لابسي الثياب البيضاء القصيرة والعمائم الحمراء المعصوبة واللحى المزمجرة تحاصر القصر، وفي أيديهم المصاحف يتلون منها آيات الوعيد وعذاب النار.

انكب شرمان القليس على كتابة رسالة استغاثة إلى كافة أرجاء العالم، وأعد نداءً مقتضباً لعدد من السياسيين المرموقين والصحافيين المشاهير والكتاب والمفكرين ووزارات الخارجية في مئة دولة، والمنظمات والهيئات الإنسانية والجمعيات الخيرية والأندية الرياضية!!

إلا أن حماسته انطفأت دفعة واحدة، حينما أخبرته مدبرة المنزل ريحانة أن الفاكس والهاتف وشبكات الكمبيوتر والتلكس والكابلات التلفزيونية والكهرباء والماء كلها مقطوعة. حينذاك خرج شرمان القليس من غرفته الواسعة المساحة، وجلس مع أفراد عائلته لتناول وجبة الإفطار المكونة من فتة بلحم الفيل.

تصدر شرمان المائدة، وحدج المتحلقين حولها بنظرة

فاحصة كأنما يتأكد من عدم تغيب أحدهم، زوجاته الست كن عن يساره، وأبناؤه الثلاثون كانوا عن يمينه. كان يحلم في قرارة نفسه أن يتزوج ستمائة امرأة، كما فعل النبي سليمان عليه السلام، وأن ينجب منهن ستة آلاف ولد، يحكم بواسطتهم العالم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً. طلبت أم سيف من شرمان أن يسمح لولدها بتناول وجبة الإفطار معهم، حدق فيها شرمان باستهزاء ثم أُطلق ضرطة مجلجلة تعبيراً عن رأيه في سيف.

قالت زوجته المفضلة التي تملك أنفاً مستلقياً على وجهها كعاهرة تفتح فخذيها:

- صنعاء لم تعد آمنة.. من الأفضل لنا جميعاً أن نحزم حقائبنا ونسافر إلى الخارج فوراً.

قالت زوجة أخرى تشبه البرميل:

- هؤلاء الذين يحاصروننا لا يعرفون الشفقة أو الرحمة، وإذا جن الليل وغرق المكان في الظلام فسيقتلوننا ولا ريب ذبحاً بالسكاكين!

قال شرمان القليس وهو يلتهم الفتة بنهم غير معهود منه:

- ليس من اللائق أن نفر كالفئران من أول أزمة

سياسية حقيقية تواجهنا، وفي كل الأحوال لا داعي للقلق، لأننا عاجلاً أو آجلاً سنتوصل إلى تسوية سياسية مع الجماعة الإسلامية تنهي الأزمة.

قال أكبر أبنائه مثقلاً والده بشبكة ضخمة من الشكوك:

- أنا متأكد من أنك تستطيع باتصال خاطف مع رئيس الوزراء جلب قوة كبيرة من الأمن المركزي، وبذا سنتمكن من طرد هؤلاء الكلاب إلى صحراء الربع الخالي في أقل من ساعة واحدة.

رد شرمان القليس وهو يقص بشعاع عينيه المتوهجتين شباك الظنون:

- أستطيع ذلك ولكن ليس الآن، ربما بعد شهر أو أكثر، من الضروري أن أذيق هؤلاء الأوباش طعم التعب والسهر، وأعرضهم للهيب الشمس وزمهرير الليالي، وأوحلهم في مياه الأمطار! وأما أنا فسيكون الحصار بالنسبة إليّ فترة راحة وخمول، أستعيد فيها قواي المنهكة، وأستمتع بعزلتي المؤقتة التي قد تساعدني على الخروج بنظرية جديدة في الحكم.

ضحكت أم سيف رغماً عنها، ولكن نظرة نارية من شرمان ألجمت ضحكاتها.

تابع شرمان قائلاً:

- أما من الناحية السياسية فكلما استمر الحصار كلما ازداد التعاطف العالمي لصالح قضيتي، لأنهم سبعة آلاف شخص وأنا فرد واحد.. ولا تنسوا أن نصيبي من الاهتمام الإعلامي الدولي ستزيد مساحته يوماً بعد يوم، وفي النهاية سيظل هؤلاء السبعة آلاف مجرد نكرات، أرقام فقط.. وأما أنا فسأغدو شخصية سياسية عالمية مشهورة!

قال ابن له ضخم الرأس شخيت البدن كأنه قرن فلفل أخضر:

- ماذا عن المدرسة؟ الامتحانات ستبدأ الأسبوع المقبل.

قال شرمان مصغياً إلى غطغطة لحم الفيل المهروس في أمعائه:

- يمكنكم جميعاً الدخول والخروج والذهاب إلى حيث تشاءون بدون أية قيود أو مضايقات، ما عداي أنا طبعاً.

قالت زوجته التي تملك أنفاً مستلقياً على وجهها كعاهرة تفتح فخذيها:

- هل تلقيت رسالة من أمير الجماعة بهذا المعنى؟

رد شرمان وقد تحرك في كرسيه وتطلع حواليه:

- لا، لكنني تلقيت معلومات من جواسيسي المندسين في صفوف الإسلاميين المحاصرين لنا، تفيد بأن الجماعة قد تلقت أوامر صارمة بعدم التعرض لأي أحد يريد الدخول أو الخروج، ماعدا ثلاثة أشخاص، هم أنا ود. أسد هود، والمتطوعة يكسوم .. بمعنى آخر يمكنكم مواصلة حياتكم اليومية بشكل طبيعي وكأنه لا علاقة لكم بما يحدث، مفهوم؟

الشفاه تفوح برائحة الفحل

في غضون أسبوعين استعادت سعيدة صحتها، بفضل التغذية الجيدة وقعودها في ماء ساخن ممزوج بمطهر قاتل للعفونات والجراثيم أعدته لها مدبرة المنزل ريحانة ثلاث مرات يومياً.

عادت إلى سيقانها القوة وصارت قادرة على الركض والقفز، وتجلى وجهها بهياً مدوراً يخلب الألباب، واكتست عظامها لحماً غضاً طرياً حاراً فبدت كغزالة رشيقة خفيفة الروح.

فُرض على سعيدة أن تبقى محبوسة في غرفتها منذ الساعة السادسة صباحاً وحتى الساعة الواحدة بعد

منتصف الليل لكيلا يكتشف شرمان وزوجاته وذريته وجودها.

كانت مدبرة المنزل ريحانة تغلق عليها باب الغرفة بالمفتاح، فإذا هجع أهل القصر إلى مراقدهم، فتحت لها الباب لتتجول في أرجاء وردهات القصر على راحتها، ثم تمضي معها بعض الوقت في ثرثرة عادية.

في الساعة الرابعة صباحاً تعد ريحانة مائدة عامرة بالطعام الشهي لها ولسعيدة ولسيف ولأمه، كانوا نسيجاً مختلفاً عن سكان القصر في عاداتهم وأحلامهم ورغباتهم وفي أسلوب معيشتهم.

اشترى سيف لسعيدة دزينة من الفساتين الجميلة من مختلف خامات القماش، وعدداً من زجاجات العطر، وإكسسوارات بسيطة، فبدت سعيدة حين تجلس معهم على المائدة أميرة متألقة مثقلة بالحلي، ومزدانة بالأثواب الحريرية ورائحتها الهفهافة تعبق من مسافة عشرة أمتار.

في أحد الأيام نسيت ريحانة أن تغلق باب سعيدة بالمفتاح، فكان أن تسللت الأخيرة بعد استيقاظها ظهراً

إلى حجرة واسعة تستخدم كفصل دراسي لأطفال شرمان، ومن ثقب الباب الموصد شاهدت المدرسة الجعدة الشعر، تشرح على السبورة دروساً لا أول لها ولا آخر، وحين اصطدمت بغباء طالب من أبناء شرمان وأعيتها الحيلة في إفهامه، احمر وجهها احمراراً شديداً من الغيظ وبدأت في السعال والمعاناة من ضيق التنفس، ورأتها تتجه إلى آخر مقعد في الخلف حيث كان يجلس سيف، وبلا مقدمات وجهت له صفعة مدوية، أثارت ضحك أبناء شرمان ومرحهم، فاستعادت المدرسة الجعدة الشعر توازنها النفسي، ومن ثم عاودت شرحها للدرس وابتسامة عريضة تجلل شفتيها.

أدركت سعيدة مقدار الاضطهاد الذي يعانيه سيف من زوج أمه شرمان، وعرفت أنه لم يُسمح لسيف بحضور الدروس لكي يتعلم، وإنما بغرض أن يتلقى الصفعات والشتائم المقذعة بالنيابة عن الأغبياء من أبناء شرمان.

عادت سعيدة إلى غرفتها وبكت بحرقة فوق مخدتها، وأحست في داخلها برغبة في صنع شيء لإنقاذ سيف من الذل والمهانة.

هداها فكرها إلى الورقة والقلم، وشرعت للمرة الأولى في حياتها بكتابة حكاية شعبية جعلت بطولتها المطلقة لسيف، فسوّدت عشرات الصفحات التي تسرد البطولات الخارقة والمعارك الفاصلة التي خاضها سيف مع أعدائه.

في إحدى المرات طلبت مدبرة المنزل ريحانة من سعيدة أن تذهب لإيقاظ سيف النائم في غرفته لكي يشاركهم مائدة الساعة الرابعة، فتحت سعيدة باب الغرفة بهدوء وسارت نحو السرير على أطراف أصابعها، ضوء الممر المتسرب إلى الداخل عبر الباب المفتوح مكنها من رؤية وجه سيف الأثير إلى قلبها.

مكثت سعيدة قرابة العشر دقائق تملّي عينيها من وجه سيف، وبعد تردد طويل أطبقت بشفتيها على شفتيه عدة ثوان، ثم ابتعدت خشية أن يستيقظ. حين لاحظت أنه لم يشعر بها تشجعت أكثر، واحتوت شفتيه بين شفتيها الصغيرتين المكتنزتين ومصتهما بقوة.

أوشك قلبها المفعم بالمحبة أن يتوقف عن النبض عندما أحست بذراعي سيف تلتفان حول خصرها، وبعينيه الخضراوين ترتويان من مفاتنها.

بصعوبة تملصت من ذراعيه وفرت هاربة إلى غرفتها، وأغلقت على نفسها بالمفتاح من الداخل، وادّعت النوم حين دقت ريحانة بابها.. كانت تلك المرة الأولى التي تتخلف فيها سعيدة عن حضور مائدة الأربعة في الساعة الرابعة صباحاً.

كان سيف يقضي فترة ما بعد الظهر إلى المغرب في حل الواجبات المدرسية، المطلوبة من أبناء شرمان التي كلفتهم بها المدرسة الجعدة الشعر. وفي مرة انتابه السأم من تراكم الدفاتر، فخرج خلسة من حجرة الدروس وتسلل إلى جناح الخدم قاصداً غرفته الخاصة، وفكر في استراق ساعة لنفسه ينام فيها ملء جفونه.

ما كاد يضع رأسه ويغمض عينيه حتى سمع أصواتاً غريبة تنبعث من دولاب ملابسه، أخرج من تحت السرير هراوة في رأسها مسامير من الصلب، وفتح ضلفة الدولاب متوقعاً وجود لص من صغار الخدم .. فوجئ بسعيدة مختبئة بداخل الدولاب وقد ارتدت بنطاله وقميصه وتحتهما ثيابه الداخلية.

فغر سيف فاه دهشة ولم يستسغ تلك اللذة الغامضة

الغريزية التي دفعتها لممارسة هذا الفعل.

شعرت سعيدة بالخوف والخجل والعار مما فعلت، وأحست بقدميها لا تقويان على الوقوف، وبالأرض تزحل وتميد بها، وبالدنيا تظلم في عينيها، فكان أن أجهشت بالبكاء، مما اضطر سيف إلى ترك غرفته والعودة إلى حجرة الدروس منكباً على حل الواجبات المدرسية بذهن شارد.

هربت سعيدة إلى غرفتها وغرقت في نوم متقطع زاخر بالأحلام المتداخلة في بعضها البعض .. رأت نفسها في منام غريب وقد ارتدّت طفلة بعمر أربع سنوات وسيف بعمره الحالي، وهي جالسة على حجره تناوله شفتيها بين الحين والحين، وتطوقه بذراعيها وتدس أنفها بين ضلوعه، وتتشمم رائحة عرقه بتلذذ لا يدانيه شيء في العالم. رأت أخاها الأكبر المتدين يقطع عليهما خلوتهما.. رأته يقترب منها ويمرر إصبعه عليها، اكتشف بخار أنفاس سيف الحارة عالقاً بوجنتيها، قرب أنفه المفلطح من شفتيها وتمكن من تمييز رائحة شفاه فحل فيهما، انتزعها بالقوة من أحضان سيف، وذهب بها إلى حجرة الدروس الخاصة بأبناء شرمان، وكتب على السبورة

كلمات غامضة، وطلب منها تحويلها إلى أرقام، عصرت سعيدة دماغها وبذلت جهداً مهولاً في التفكير، وخبطت رأسها بالجدار، وعضت لسانها حتى أدمته، ثم انتهى الأمر بفشلها الذريع. حينئذ عاقبها أخوها الأكبر بإدخال عصا المكنسة الطويلة في فتحتها الخلفية، ظلت تصيح وتبكي في غرفتها دون أن يسمعها أحد حتى أزفت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

استيقظت من الكابوس على صوت سيف الخارج من باطن الأرض..اقترب منها وجلس على طرف سريرها..

- لماذا تغلقين على نفسك بالمفتاح؟

انتزعت سعيدة المفتاح المعلق بصدرها وناولته لسيف:
- لا تنسَ أنك دخلت غرفتي بغير إذني..

قال سيف ضاغطاً المفتاح بين أصابعه:
- هل تعرفين أني أعشق صوتكِ.. أحس أنه يمنحني قوة داخلية غريبة أحار في تفسيرها، إن الكلمات التي تخرج من فمك تتحول إلى أنامل رشيقة تعزف لحناً شجياً على أوتار قلبي.

انسكبت الدموع حلوة كالسكر من عيني سعيدة المغتبطة بتغزل سيف الذي تابع قائلاً:

- امنحيني ابتسامتكِ الجميلة التي لا مثيل لها في العالم.. اسمعيني ضحكتكِ البريئة الخافتة كضحكة حوريات الجنة.

تعانقا وغرقا في قبلة طويلة جداً.

قرابة الساعة الرابعة إلا ربعاً سمعا طرقات على الباب وصوت ريحانة ينادي عليهما ليستعدّا لحضور مائدة الساعة الرابعة.

ارتدى سيف ملابسه على عجل وقال:

- كيف عرفت ريحانة بوجودي في غرفتك؟

قالت سعيدة متباطئة في ارتداء ملابسها:

- لقد تنبأت بلقائنا الحميم هذا قبل عشرة أيام ..

خرجا من الغرفة وعلى محياهما شقاوة الأطفال وفرحتهم بمغامراتهم الصغيرة المخجلة، وفي الممرات الموصلة إلى مطابخ القصر تبادلا قبلات ساخنة تكفي

لصهر الثلوج التي تكلل قمم الجبال في كافة أنحاء العالم.

في تمام الرابعة صباحاً اجتمع الأربعة حول مائدة الطعام، وتصدرت ريحانة كالعادة قائلة بلهجة تأنيب:

- لقد أدى تغيب سعيدة عن الحضور في الأيام الثلاثة الماضية إلى تعطيل مشروعنا.

كانت سعيدة مشغولة بتأمل عيني سيف الخضراوين، وبيناء حكاية حب خيالية تجري في عوالم غريبة.

قال سيف مدافعاً عن سعيدة الغائبة عن الوجود:

- وما هو مشروعنا؟

قالت ريحانة وهي تضع على المائدة العامرة بالدجاج والسمك والسلطات كيساً أسود:

- هل تذكر أنت وسعيدة هذا الكيس الذي تركتماه عندي أمانة؟

قال سيف ونوبة قشعريرة مشمئزة تضرب أطناب بدنه:

- نعم .. هذا رأس المجرم الحبشي.

خرجت سعيدة من حالة الانتشاء التي كانت فيها، واحتل الغضب المتأجج مساحة وجهها المرتجف من الانفعال جراء تذكرها الأحداث الماضية المؤلمة.

قالت أم سيف متجنبة النظر إلى الرأس المقطوع المتبدي من الكيس:

- وما علاقة هذا الرأس المجمد في الثلاجة منذ شهر بمشروعنا؟

قالت ريحانة وهي تضع الرأس المقطوع في طبق فضي ناثرة على أطرافه الخيار والجزر وأوراق الخس:

- هذا الرأس هو أساس مشروعنا.

قالت سعيدة باستنكار:

- كيف؟

صبت ريحانة على الرأس زيتاً وعصرت فوقه ليموناً وذرت عليه ملء كفها من حبات السمسم ثم غطت الطبق بغطاء محكم:

- تعرفون جيداً أن شرمان يسعى إلى استنساخ الملكة بلقيس لكي يصعد على أكتافها إلى سدة الحكم

كما يصور له خياله المريض.. وقد تعاهدنا هنا نحن الأربعة على إفشال مخططه الدنيء ولو خسرنا في سبيل ذلك أرواحنا.. وها أنذا أعلن لكم أن ساعة الصفر قد أزفت.

المجداف السابع

افتضاض البكارة

مع خيوط الفجر الأولى توافد الطباخون إلى مطابخ القصر، وبدأوا في تحضير وجبة الإفطار لشرمان وعائلته وحاشيته وحرسه.

فور استيقاظه قام شرمان بدهن شاربه بزيت كبد الحوت الموصوف لإطالة الشعر، وكعادته كل صباح خرج للتنزه في الحديقة الخلفية الملحقة بقصره. فوجئ بسيف يتجه نحوه وقد اربدّ لونه فارتاب في أمره وحدس بأن وراءه شراً مستطيراً. في توقيت متزامن ادّعت أم سيف أن مرضاً ألمّ بها وأنها بحاجة ماسة للذهاب إلى أقرب عيادة أسنان مفتوحة. كانت سعيدة برفقتها متنكرة في ملابس صبي، وقد نجحت حيلتهما وتمكنتا من الخروج بسلام من القصر.

في التوقيت ذاته حملت ريحانة بنفسها طعام الإفطار المحضر خصيصاً للمتطوعة «يكسوم» الحبلى في الشهر الخامس ببلقيس الثانية.

بسهولة متوقعة تجاوزت ريحانة الحراسات المشددة التي فرضها شرمان على المخبأ الحصين الذي أوى فيه «يكسوم».

وضعت ريحانة وعاء النحاس العامر بالجبن والزيتون والعسل والقشطة والأناناس الطازج بين يدي «يكسوم» وباست رأسها بعد أن ألقت عليها تحية الصباح.

تقدمت وصيفة «يكسوم» الأفريقية الملازمة لها بأمر من شرمان وبدأت تتذوق كافة أصناف الطعام خشية أن يكون مسموماً. مدت يدها ورفعت الغطاء عن الطبق الفضي الرئيس الذي كان يتوسط تلال الطعام الأخرى.

أصيبت الوصيفة بالعجمة وألجمتها المفاجأة عن الحركة، رفعت ريحانة الرأس المقطوع ممسكة بشعره الجعد ولوحت به في وجه «يكسوم».

في الحديقة الخلفية الملحقة بالقصر صرخ شرمان في سيف يأمره بالتوقف، استل الأخير سكيناً حادة وجرى بأقصى سرعته مريداً قتل شرمان.

نبهت صرخة شرمان المتحشرجة حارسه الشخصي الأفريقي المفتول العضلات، فبادر على الفور بإطلاق النار من مسدسه الكامل الذخيرة على سيف فأرداه قتيلاً مخضباً بدمه تحت قدمي شرمان الجذلان بمصرع عدوه اللدود.

أفتتن الإسلاميون المحاصرون للقصر على نحو خاص بـ «سعيدة» التي ظنوها صبياً موفور الوسامة رجراج العجيزة.

طلبت أم سيف عقب إفلاتها من حراس بوابة القصر مقابلة القائد الميداني للإسلاميين، قابلته برفقة «سعيدة» المتنكرة في ملابس صبي، وشرحت له العملية التي يجري تنفيذها على قدم وساق في داخل القصر، وطلبت منه الحماية والعون للمشتركين في العملية.

اتصل القائد الميداني الذي يشبه برميل نفط خاوياً بأمير الجماعة يستشيره ويعرض عليه التطورات الجارية، وفي

أثناء المكالمة قر في الأسماع صوت الرصاص المنبعث من القصر. أنهى القائد الميداني اتصاله مع الأمير، وأعلن لأم سيف أن الجماعة غير مسؤولة عن حماية أحد.

جثت أم سيف على ركبتيها وأطلقت لدموعها العنان بصمت، نصحها القائد الميداني الشبيه ببرميل نفط خاو أن تلوب بمحراب الجامع الكبير في صنعاء القديمة.

أمر شرمان رجاله بدفن جثة سيف في الحديقة بأسرع ما يمكن، وما إن خطا بضع خطوات حتى تناهى إلى سمعه نياح يخلع القلوب وصرخات ألم وحشية، في البداية ظن أن النائحة هي أم سيف، فسار لا مبالياً قاصداً مكتبه.

جلس شرمان إلى مكتبه، وانشغل بقراءة أخباره المنشورة في صحف الصباح، وشرب قهوته المرة بمزاج رائق بهيج.

اقتحم الحرس المكلفون بحماية «يكسوم» المكتب بخشونة، وألقوا بريحانة المدماة الوجه بفعل أظافر «يكسوم» على الأرض، وركلوها بأقدامهم حتى كفت عن المقاومة.

أخبر الحراس شرمان بأن «يكسوم» قد أُجهض حملها، وخرجت بلقيس الثانية ميتة، وذلك بسبب قيام ريحانة بتقديم رأس «أبرها» الأخ الشقيق لـ«يكسوم» مقطوعاً في طبق من فضة.

تفنن شرمان في قتل ريحانة، ثم أمضى سحابة نهاره في التقصي والتحقيق، وارتكب في ذلك اليوم مجزرة طالت عدداً من الخادمات والطباخين ووصيفة «يكسوم» الخاصة.

طار خبر فشل مشروع استنساخ الملكة بلقيس في الآفاق، وأذيع في نشرات الأخبار بصيغة: (جاءنا للتو ما يلي) وتنفست الحكومة كما يقال الصعداء.

انسحب الإسلاميون محاصرو القصر وعادوا إلى ثكناتهم منتصرين، وهم يصدّعون رأس السماء بصيحاتهم وتكبيراتهم وطلقات الرصاص المعبرة عن فرحتهم.

في مقابل مئة بندقية آلية لا أكثر وشى أمير الجماعة الإسلامية بمكان أم سيف والصبي المرافق لها.

حشد شرمان القليس مئة من رجاله الأشداء وجهزهم

بالسلاح والذخائر، وانطلق بهم إلى الجامع الكبير بصنعاء القديمة.

تسامع الناس بدخول شرمان القليس وقواته من باب اليمن، ففروا من وجهه وأخلوا له الشوارع والطرقات.

وصلت الأنباء إلى المترددين على الجامع الكبير قرب صلاة الظهر، فمنهم من ترك صلاته ومضى لبيته، ومنهم من كان يتوضأ في الموضأ فهرب من النوافذ خوفاً من أن يدركه شرمان وزبانيته، ومنهم جماعة كبيرة هربت من الأبواب ونسيت أحذيتها، أو بالأحرى جعلهم الرعب من القادم عليهم يزهدون فيها.

لم يبق في الجامع الكبير سوى القيّم عليه، الحاج «طالب الله» الذي قام بإغلاق أبواب الجامع كلها من الداخل، ما عدا باباً واحداً خرج منه وأغلقه بأقفال كثيرة متنوعة الأحجام، وترك أم سيف وسعيدة في المحراب بلا نصير أو سند سوى الله وحده.

مضى قيّم الجامع إلى بيته، وقبل أن تطأ قدمه عتبة الدار كلّمه رجل من جيرانه ساخراً:

- يا حاج، كيف تترك الجامع الكبير وأنت القيم عليه؟ ألا تخشى أن يضرم شرمان ومن معه النار فيه فيصير أثراً بعد عين؟

قال القيم طالب الله:

- للجامع الكبير رب يحميه.

أرسل الجار الخبيث نظرة احتقار وازدراء للقيم وتمنى في نفسه لو تمكنه الأقدار من خلع رقبته وشيّها في سفود حتى تصير رماداً.

طوّق رجال شرمان الجامع الكبير من جهاته الأربع، ونزل شرمان القليس من سيارته المصفحة الموصوفة بأن لها قوة أربعة أفيال مصدراً الأوامر لرجاله باقتحام الجامع وقتل أم سيف ومن معها.

حلّق نسر في السماء ظن صلعة شرمان القليس اللامعة بفعل شمس الظهيرة بيضة ثعبان عظيمة.. حمل النسر صخرة تزن ستة كيلو غرامات وألقاها من علو شاهق مصوباً بدقة شديدة على هامة شرمان القليس.

انفلق رأس شرمان وسال مخه على جسده كما يسيل مح بيضة كسرت من المنتصف، وخر صريعاً على الأرض المرصوفة بحجارة غير مشذبة.

تطيّر المقاتلون من الطريقة التي لقي بها قائدهم مصرعه، وتهامسوا بأن الله يحارب عن بيته، وتنادوا بالفرار.

بضعة رجال من أشد المخلصين لشرمان، حملوا جثته إلى سيارته المصفحة التي لها قوة أربعة أفيال، ومددوها على المقعدة الوسطى الطويلة.

عادوا بجثته إلى القصر في موكب منهزم حزين، وطرحوها في الحديقة الخلفية ريثما يتدبرون كفناً أبيض يغطوها به، وذلك حرصاً منهم على تجنيب أسرته مشاهدة رأسه المفقوء المهشم.

أثناء انشغالهم ذاك، اشتمّت قطط سيف الثلاثون رائحة زيت كبد الحوت الفواحة من شارب شرمان القليس البالغ طوله ثلاثة أمتار وبضعة أشبار، فانقضت عليه بأنيابها ومخالبها، والتهمته بنهم فظيع في غضون دقائق.

تحدث أهل باب اليمن وكافة سكان صنعاء القديمة عن المعجزة الإلهية التي حصلت لأم سيف والصبي الذي معها بكرامة الجامع الكبير وقدسية أوليائه الصالحين.

توافد الناس بالآلاف لرؤية الصخرة المخضبة بالدم، وقدموا النذور والفواتح والصدقات لأم سيف والصبي الذي معها بقصد التماس البركة وقضاء حوائجهم.

استضافهما إمام الجامع الكبير وخطيبه العلامة، مفتي الديار اليمانية، المقرئ الحافظ، صاحب الفضيلة «معاذ الجبلي» في بيته، وأفرد لهما غرفة خاصة.

اكتشف «معاذ الجبلي» بعد ثلاثة أيام أن الصبي الملازم لأم سيف، هو في الحقيقة أنثى جميلة لا يعيبها شيء سوى يدها اليسرى المكسورة المعصم. حينئذ تقدم لخطبتها من أم سيف، وطلب سعيدة حليلة له على سنة الله ورسوله.

أعطت أم سيف موافقتها، وكذلك وافقت سعيدة على الاقتران به، وارتضت شرطه الذي شرط عليها، وهو أن تسمح لنسائه بالاطلاع على فرجها للتأكد من وجود غشاء البكارة.

وحينما زغردت الحريم إعلاناً عن عذرية سعيدة وتوكيداً لعفافها، نحر «معاذ الجبلي» مئة رأس من الغنم، ونادى على أهل باب اليمن كافة لحضور وليمة العرس.

افتض «معاذ الجبلي» بكارة سعيدة منذ الليلة الأولى، واستمتع بها استمتاعاً عظيماً حتى خال نفسه سكراناً من اللذة، وعرف أن حليلته الجديدة ستمنحه من المتعة أضعاف ما عرفه مع زوجاته السابقات.

بمضي الأيام أدرك «معاذ الجبلي» من خلال خبرته الواسعة بالنساء، أن الفراغ الذي تعاني منه سعيدة قد يجلب لروحها السأم والملل، وهو ما قد يدفعها إلى ارتكاب الزنا..

أرشدها «معاذ الجبلي» إلى قضاء وقتها في الصلاة وقراءة القرآن وتدبر الأحاديث النبوية، وحين عرف أنها أتقنت كل هذا وتشبعت به وتبقى لديها برغم ذلك وقت فراغ كبير، فقد أرشدها إلى القيام بدور الداعية، وشجعها على الخروج من البيت للدعوة في سبيل الله.

صعدت سعيدة إلى سطح البيت المكون من سبعة

طوابق، وأطلت برأسها على باب اليمن. بذهول خفي وارتياب طائر، رأت باب اليمن وقد صار شيئاً آخر.. تحول باب اليمن إلى غابة عظيمة من أشجار باسقة شديدة الارتفاع بنية اللون، يتلألأ نوارها المسافر في عنان السماء كقبعة فاقعة الاحمرار، وغاب أولئك البشر المشوهون ليحل محلهم أطفال صغار، يرتدون بناطيل طويلة بنية بلون لحاء الأشجار تصل إلى أثدائهم، وعلى عواتقهم قمصان حمراء في حمرة النوّار المخضل بالندى، وهم يجرون ويمرحون بفرح لا يصدق وسعادة مطلقة لا سبيل إلى تصورها.

هبطت سعيدة من عليائها وانحدرت إلى الطابق السفلي، كانت قد امتلأت بالعزيمة والإصرار على الخروج للدعوة في سبيل الله وإرضاءً لرغبة زوجها الواجب عليها طاعته.

حين وضعت قدمها على عتبة الباب، حارت أية سكة تسلك، فلما استخارت ربها انبلجت من سرتها سكة فسارت فيها .. فإذا السكة بداخلها سرة، والسرة بداخلها سكة أخرى، والسكة الأخرى بداخلها سرة أخرى إلى ما لا نهاية من السرار والسكك الداخلة في بعضها البعض..

نبذة عن المؤلف:

وجدي محمد عبده الأهدل.

مواليد ١٩٧٣م محافظة الحديدة ـ اليمن.

بكالوريوس آداب.

حصل على جائزة العفيف الثقافية «قصة قصيرة» مناصفة عام ١٩٩٧م، والمركز الأول بمهرجان الشباب العربي التاسع بالإسكندرية «النص المسرحي» عام ١٩٩٨م، وجائزة رئيس الجمهورية للشباب «قصة قصيرة» مناصفة عام ١٩٩٩م.

صدر له:

زهرة العابر، مجموعة قصصية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ١٩٩٧م.

رطانة الزمن المقماق، مجموعة قصصية، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ١٩٩٨م.

صورة البطال، مجموعة قصصية، دار أزمنة، عمّان، ١٩٩٨.

من أحلام الكتب، قصة طويلة، الأمانة العامة لجوائز رئيس الجمهورية، صنعاء، ١٩٩٩م.

حرب لم يعلم بوقوعها أحد، مجموعة قصصية، مركز عبادي للدراسات والنشر ونادي القصة إلمقه، صنعاء، ٢٠٠١م.

قوارب جبلية، رواية، مركز عبادي للدراسات والنشر ونادي القصة إلمقه، صنعاء ٢٠٠٢م.

* نشرت له رواية «**الومضات الأخيرة في سبأ**» على حلقات بصحيفة «الثقافية» عام ٢٠٠٢م.

* نشرت هذه الرواية مسلسلة على حلقات في صحيفة «الثقافية» عام ١٩٩٨م تحت مسمى «إضبارة جهورية الانتفاخ».

وجدي الأهدل

قوارب جبلية

نساء مغتصبات، رجال جائعون، شحاذون، أيتام، مهووسون جنسيون، أقبية تعذيب، علمانيون وإسلاميون، جنباً إلى جنب مع كهوف ومغاور وكائنات خرافية وأساطير.

إنه اليمن الذي يسير فيه التاريخ شابكاً يده بيد الواقع وهي الجبال التي تحتضن الآثار مثلما تحتضن اللصوص والفارين.

هذا هو الفضاء الذي تسير فيه أحداث هذه الرواية قوارب جبلية عن اليمن لمؤلفها وجدي الأهدل الذي سيتذكره القراء العرب جيداً من الآن فصاعداً، ويختبرون أسلوبه الساحر المؤلف من ذكاء لماح وسعة أفق وانحياز إلى الإنسان المعذب والمتألم في صبوة ربما لا تملكها سوى فطرة يمنية تتكئ على أرستقراطية الحضارة.





ISBN 9953-21-096-9